جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

التفكير اللساني عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح

-بين التأصيل والتجديد-

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الآداب واللغة العربية.

تخصص: اللسانيات واللغة العربية

إعداد الطالبة: زينب علاوة

إشراف الأستاذة: ليلى جغام

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	المؤسسة	الصفة
عمار ربيح	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
ليلى جغام	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
باديس لهويمل	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا
زهور شتوح	أستاذ	جامعة باتنة	مناقشا
نعيمة سعدية	أستاذ	جامعة بسكرة	مناقشا
صفية طبني	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ*وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

{المجادلة11}

مقدمة

يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من أبرز اللسانيين في العالم العربي الحديث اطلع على كل جديد في مجال اللغة وعلوم اللسان، واتخذ التراث اللغوي العربي الأصيل منطلقا لفكره اللساني امتدادًا لما خلّفه النحاة القدماء، وأكبر دليل على ذلك كله إدراجه لبحوثه العلمية ومقالاته اللغوية تحت إطار مسمّى: "النظرية الخليلية الحديثة"، برهانا منه على تمسكه بالأصالة ووفائه لهذا الفكر النير، واعترافا منه بقيمة ما قدمه أولئك اللغويون القدماء من جهود تضاهي في حداثتها ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الغربية.

وقد اتخذ في بحوثه اللغوية منهجا موضوعيا وسطا قائما على ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث، أو بتسليط النقد البنّاء عليه، دون إقصاء لأي قول قديم أو حديث انطلاقا من قناعته الراسخة أن الفكر اللغوي العربي القديم قد وصل إلى نتائج علمية سبقت عصرها، إذ ترك إرثا علميا متنوعا بين المقالات والكتب المنشورة حيث كانت شاهدة على إبداعه، وقد جاءت هذه الدراسة للكشف عن مواطن الأصالة والتجديد في فكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح اللساني، وتحديد نقاط الإبداع التي أنجزها هذا اللساني الفذ، خاصة فيما تعلق بالدفاع عن أصالة الفكر اللغوي العربي وتميزه، ودرء شبهة تأثره بالمنطق اليوناني، كما لا ننسى جهوده في اللسانيات الحاسوبية وترقية اللغة العربية وحفظها وذلك من خلال مشروع سماه الذخيرة اللغوية العربية.

وتكمن الأهمية العلمية للموضوع في الانجازات التي حققها الأستاذ في جميع مجالات اللسانيات خاصة فيما يتعلق بالنظرية الخليلية الحديثة وحثه المستمر على استغلال التكنولوجيا في خدمة اللغة العربية وما نتج عنه من مشروع للذخيرة اللغوية العربية.

أما عن الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع فتنقسم إلى دوافع ذاتية ودوافع موضوعية؛ فأما الذاتية فتتمثل في السعي لزيادة الحصيلة العلمية اللسانية من خلال بناء تصور واضح وشامل ودقيق على أعمال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ، ثم التعرف العميق على مدى تأثيره في التفكير اللساني العربي.

وأما الأسباب الموضوعية فتتمثل في الإلمام بجُلّ ما جاء به علماء العربية قديما أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والرضي الاستراباذي، وأيضا الاطلاع على تأثير النظريات الغربية وعلى الدراسات اللغوية العربية، وهذا فحوى ما عالجه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كتبه ومقالاته.

وبناء على أهمية الموضوع المتمحورة حول التفكير اللساني عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح –بين التأصيل والتجديد– وخاصة فيما تعلق بجانبه التجديدي وعلاقته بالتطور التكنولوجي ، يمكن طرح الإشكالية الآتية:

– كيف زاوج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بين التراث والحداثة في بحوثه اللسانية لخدمة اللغة العربية؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية تساؤلاتٍ جاءت على النحو الآتي:

- ماذا أضاف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح للدرس اللساني العربي؟
- ما مفهوم التأصيل والتجديد عنده؟
- كيف ساهم في خدمة اللغة العربية؟
- ما أهم التوجيهات التي قدمها لدارسي اللغة العربية في العصر الحديث؟
- هل كان الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من المجددين في الفكر اللساني العربي؟.

وقد قَسّمت هذا البحث إلى: مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة تضمنت هذه الأخيرة أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

تناولت في المدخل ترجمةً لحياة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وتعداد جهوده العلمية، ثم تمهيدا للسانيات العربية فلمحة عن التفكير اللساني في الحضارة العربية.

أما الفصل الأول فقد تطرقت إلى منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في المزاوجة بين الأصالة والتجديد، وقد قسّمته إلى مبحثين، تناول الأول موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من التراث والتجديد، والثاني عالج قضايا الترجمة والمصطلح عنده.

أما الفصل الثاني والموسوم بـ: جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في حوسبة التراث العربي، قسّمته بدوره إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات الحاسوبية، والثاني عالج قضايا المعجم عنده.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ: اللغة العربية بين علم ظواهر الاستعمال والتداولية، تحدثت في مبحثه الأول عن قضايا الخطاب والتخاطب في التراث العربي، في حين تحدثت في المبحث الثاني عن علاقة البراغماتيك الغربية بنظرية الخطاب العربية.

ومما لا شك فيه أن أيَّ بحث علمي لا يخلو من إتباع منهج للوصول إلى مقاربات صحيحة ونتائج مرضية، فقد اتبعتُ في هذا البحث ثلاثة مناهجَ: أولها المنهج التاريخي حيث يتجلى في تتبع قضايا مثل إثبات أصالة التراث اللغوي العربي، وثانيها المنهج المقارن والذي ظهر من خلال مقارنة بين ما جاء في التراث العربي وما وصلت إليه النظريات الغربية كما تناولها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، وثالثها المنهج الوصفي وقد استند على آلية التحليل إذ استعملته عند عرض مختلف القضايا اللسانية الأخرى على نحو تحليل قضية حوسبة التراث اللغوي العربي.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من الدراسات السابقة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أحمد قبور: عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا: "منهج تحليل وأسلوب تفضيل"، هذا المرجع اعتمدته في شرح منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في مزاوجته بين التأصيل والتجديد.
- معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا، وتعد هذه الأطروحة أهم دراسة

سابقة تناولت الاتجاه التوافقي بين التأصيل والتجديد عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

إذ كانت هذه الدراسات وغيرها من المقالات العلمية المنشورة مراجع اعتمدت عليها، وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كان مصدر إلهام لعديد الباحثين وأخص بالذكر طلبة الدراسات العليا، وكانت هذه الدراسات غزيرة اعتمدت على بعضها في خدمة هذا البحث الذي حاولت فيه الفصل بين ما سبقه من بحوث وذلك من خلال ما تناولته أثناء دراستي لأفكار عبد الرحمن الحاج صالح كونها مصدرا للدراسة وتشبثت بآرائه وركزت عليها، كما استندت على محاضراته الموجودة على يوتيوب.

أما عن المصادر والمراجع فتنوعت بتنوع موضوع البحث نذكر منها:

- كتب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المنشورة، والتي تعد مصدرا أساسيا في هذه الدراسة.
- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية؛ وهو كتاب قيّم استعنت به في إنجازي للمدخل.
- مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين.
- سعد مصلوح: دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة.
- عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، وهذا المرجع استعملته عند تتبع أصالة النحو العربي.
- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية "نماذج تركيبية ودلالية".
- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي؛ وقد استعنت بهذا المرجع في المدخل كونه تناول قضية نشأة الدرس اللساني العربي.

- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته؛ هذه المراجع تعد من أبرز الدراسات التي تناولت اللسانيات العربية ، إذ تتسم بالجدية في الطرح حسب رأيي.

ولا جَرَم أن أذكر بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء الدراسة والتي تمثلت في:

- كثرة الإنتاج العلمي للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بين الكتب والمقالات العلمية وهذا صعّب عليَّ الإلمام بكل ما جاء فيها.
- تنوع المرجعية الفكرية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فهو يزاوج بين الكتب التراثية مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والكتاب لسيبويه، والكتب الغربية ذات النظريات الحديثة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذتي المشرفة السابقة الدكتورة "رزقي حورية" التي لم يكتب لنا إكمال هذا العمل معا، رجائي لها أن يشفيها الله ويعافيها وينفع بعلمها.

والشكر كل الشكر أيضا لمشرفتي الدكتورة "ليلى جغام" على تبنيها هذا البحث وتتبعه وتنقيحه، إذ لم تبخل عليَّ بتصويباتها وآرائها فجزاها الله عني كل الجزاء.

والشكر موصول للأستاذة نعيمة سعدية لمساعدتها لي في كثير من الآراء العلمية، فقد كانت لي خير مرشد وموجه، وكذلك الدكتور محمد خان الذي كان سببا في اختياري لهذا الموضوع ولم يبخل عليَّ بمراجع أعانتني وكانت سندا لي في إنجازه، لهما مني فائق التقدير والاحترام، والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل وتصويبه وتقويمه فلهم مني كل الاحترام والتقدير.

والله ولي التوفيق.

مدخل

1- ترجمة لحياة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

2- التفكير اللساني في الحضارة العربية.

2-1 الأصول العربية الأولى لمصطلح اللسانيات.

2-2 أصول المقاربة اللسانية.

1-ترجمة لحياة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح باحثا لسانيا ذاع صيته في الجزائر والوطن العربي، له اطلاع واسع على ما صُنف في الفكر اللغوي عند العرب وعند الغربيين إذ يحتل مكانة مرموقة عند طلابه في الجزائر وفي المشرق العربي[1]، وقد ولد بمدينة وهران بالجزائر سنة 1927م، درس في مصر وبوردو وباريس، وتحصل على التبريز في باريس، وعلى دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السربون عام 1979والتي كان عنوانها "Linguistique arabe et linguistique générale: essai de méthodologie et d'épistémologie du ilm al-arrabiyya"[2].

وعمِل أستاذًا بجامعة الرباط بالمملكة المغربية سنة 1961م إلى سنة 1962م، وبعد ذلك صار مديرا لمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر ثم مديرا لمركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية، قبل أن يعينه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000 م، وكان – رحمه الله-عضوا في المجامع العربية الآتية: دمشق، بغداد، عمان، القاهرة، وأشرف على مشروع "الذخيرة العربية" الذي هدف من خلاله إنجاز بنك آلي للغة الفصحى يحفظ للعربية مفرداتها[3] .

[1] منصوري ميلود، الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن،جامعة بسكرة، ص 246.

[2] المرجع نفسه، ص 253.

[3] الشريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة،الجزائر،العدد السابع، جوان 2009، ص 44.

لكن تشاء الأقدار أن ينتقل إلى جوار ربه يوم 05 مارس 2017[1] بمستشفى عين النعجة في العاصمة الجزائرية عن عمر ناهز التسعين عاما[2]، وقد نعاه الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة في رسالة أثنى فيها على الرجل، واعتبره قامة علمية في علوم اللغة واللسانيات أفنى حياته في خدمة لغة الضاد، كما نعته الأوساط العلمية العربية أيضا؛ نظير جهوده في التأسيس والريادة لنشر العلم اللساني على غرار؛ صالح القرمادي (1982–1933)، وأحمد الأخضر غزال (1918_2008) والذين كان لهم دور مهم في إنشاء للسانيات العربية بعد استقلال بلادهم من الاستعمار الأجنبي.[3]

وقد ترك الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالحا إرثا لسانيا زاخرا بين الكتب والمقالات والمحاضرات مازالت المرجع الأول لطلبة اللسانيات إلى يومنا هذا جمعت وطبعت في عدة مؤلفات كلها صادرة عن منشورات المجمع الجزائري للغة العربية[4] نذكرها كالآتي:

1–السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة.

2–بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، بجزأين.

3–بحوث ودراسات في علوم اللسان.

4–الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية.

5–منطق العرب في علوم اللسان.

6– البنى النحوية العربية.

كما يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من أهم أعلام الدرس اللساني العربي الحديث على مدار نصف قرن من حياته، حيث اجتهد في التعريف بجهود النحاة العرب الأوائل في

---

[1] ينظر: حسين السوداني، عبد الرحمن الحاج صالح في سياق منشأ اللسانيات في المشرق والمغرب العربيين، مجلة الدوحة، العدد 111، أفريل 2017، ص 44.

[2] عبد القادر بوزياني، جهود عبد الرحمن الحاج صالح في مجال اللسانيات المعاصرة، مجلة موازين، ع 2، م1، ديسمبر 2019، ص12.

[3] حسين السوداني، المرجع السابق، ص ص44–45.

[4] ينظر: الشريف بوشحدان، المرجع السابق، ص 44.

تعلق شديدٍ وإعجابٍ بها، مدافعا عن أصالة فكرهم وتبرئته من تهمة المنطق الأرسطي، خاصة في القرون الأولى من الهجرة، ليمزج في فكره بين عبق الأصالة وجديد الحداثة، وقد مكنته قراءاته المتواصلة من أن يمتلك ثروة فكرية، ثقافية ولسانية؛ فتجده واسع الاطلاع على مصادر الدراسات العربية والغربية على السواء، مميزا بين أصولهما، وقد ساعده اطلاعه على أهم روافد المعرفة العربية الأصيلة والمبتكرات الجديدة من المعرفة الأجنبية في منحه رصيداً معرفيا أهَّله للخوض في الكتابة اللسانية بفهم متميز.

أسهَم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في إعداد المعاجم العربية عن طريق وضع خطط لتنويعها وتوسيع مجالات استعمالها بما يتماشى مع متطلبات العصر، وحاجات الدارسين والمتعلمين لها، إذ قام –رحمه الله– مع مجموعة من الباحثين بوضع المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات وهو معجم: عربي، انجليزي، فرنسي نتيجة لتعاون مثمر بين معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، حيث تم بمقره عقد ندوة لدراسة المشروع بين 1983/11/28–1983/12/2، وقد ألحقت بالمشروع مجموعة من المصطلحات من قِبَلِ أساتذةٍ مختصين منهم: عبد الرحمن الحاج صالح، سعد عبد العزيز مصلوح، عبد اللطيف عبيد، الجيلالي السايب وغيرهم[1]، إذ إن هذه المعاجم تصدر تباعا وأملها أن يكون هذا العمل إسهاما نافعا في تعريب العلوم والتقنيات المختلفة، وأن يجد فيها المهتمون بالأمر من معلمين وطلاب ومؤلفين وباحثين ومترجمين نفعا يصيبونه وفائدة يجنونها، وأن تكون هذه المعاجم لبنة في البناء التعليمي والعلمي، في سياق الحضارة الثقافية المعاصرة[2]، والهدف من ذلك هو

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي،فرنسي، عربي)،مكتب تنسيق التعريب ،الدار البيضاء، المملكة المغربية، م، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 9.

الوصول إلى مصطلحات علمية عربية موحدة تكون بمثابة الكاشف عن مفهوم العلوم، حتى تستجيب لحاجات التعليم وتواكب مراحله في أطواره المختلفة ولحاجات الإنتاج العلمي في مراكز البحوث وتساير التطور العلمي والفني والثقافي بكل أشكاله، فتكون بذلك اللغة العربية لغة العلم والتعليم والثقافة [1] .

وتقديرا لجهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح العلمية في تحليله النظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النحو العربي كوفئ بجائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب سنة 2010 م، إذ قام بمقارنات علمية بين التراث العربي ومختلف النظريات المعاصرة، كما شارك في الدراسات اللسانية بحثا وتقويما وتعليما وتعريبا، ولا ننسى مشروعه الفريد من نوعه؛ مشروع الذخيرة العربية، أو كما يحلو للبعض تسميته بغوغل العربي، الذي يتيح للباحث الحصول سريعا على المعلومات والنصوص عند استعمال اللغة العربية متضمنا أمهات المراجع القديمة والحديثة ومختلف المعاجم السابقة والعصرية.

وقد أتى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بمباحث جديدة لم يسبق إليها، فقد انتخب على رأس مؤسسة الذخيرة العربية واختيرت الجزائر أن تكون المقر الرسمي لهذه المؤسسة، بعدما صادق عليها مجلس وزراء الخارجية العرب لجامعة الدول العربية شهر سبتمبر 2008، وهو المشروع الذي شاركت فيه عدة دول عربية متطوعة، من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي ورصدت له مبالغ ضخمة.[2]

ومن هنا نخلص أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عالم متميز في فكره، صارم في علمه، نبغ في علوم اللسان، فجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتمكن باقتدار من بعث التراث

[1] خيرة بلجيلالي، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية، مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم، الجزائر، 2017، ص 66.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، المرجع السابق، ص 8.

اللغوي في ثوب أصيل، وصاغه ممزوجا بما جدّ في بحث أكاديمي جديد، ونشره في مجلات ودوريات، وحاضر به في عدة جامعات فكان واسع الصيت في الداخل والخارج[1]، له فضل كبير في تصحيح كثير من المفاهيم القديمة وتأصيلها وتدقيق المصطلحات العلمية المرتبطة بعلم اللسانيات.[2]

[1] محمد خان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة،الجزائر، جوان 2009، ص 31.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

2-التفكير اللساني في الحضارة العربية.

إن اللسانيات المعاصرة قد بلغت حد العلم المتكامل رغم قصر المسار الزمني الذي قطعته، إذ إن رواد هذا العلم كان منطلقهم ومصدرهم الأساس ما قدمه فرديناند دي سوسير، وأول مظهر من مظاهر اكتمال العلم إفرازه لثبته الاصطلاحي الخاص به، والبحوث اللسانية ما انفكت تولد المصطلحات، بعضها بالوضع وبعضها بالاقتباس والمجاز حتى يتسنى لها تأسيس القواميس اللسانية المختصة ، وهذا من مظاهر استقلال العلم بنفسه وتكامل رصيده الفني، ويتمثل المظهر الثاني في محاولة رواد العلم ضبط فلسفته التأسيسية أو ما يمكن أن نسميه بأصالة العلم[1].

وقد تمكنت الدراسات اللسانية أن تدخل مرحلة النظر في أسس المعرفة العلمية المحركة لثمارها، ومن ذلك ما قدمه ل.أبوستال منذ سنة 1969 إذ عكف على موضوع أصولية اللسانيات متحسسا الأسس المبدئية التي حددت تاريخ التفكير اللساني الحديث، ورغم دقة الموضوع وترامي أطرافه فإنه قد حاول إقامة تناظر أصولي بين مراحل التفكير اللساني ومقومات نظرية النحو التوليدي كما حددها تشومسكي[2].

أما المظهر الثالث من مظاهر اكتمال اللسانيات فتجلى في الحركة الاستبطانية التي تشهدها الدراسات التاريخية والمحاولات التنظيرية العامة، ذلك أن الفكر اللساني الغربي قد اتجه أخيرا إلى إعادة قراءة تراثه اللاتيني نافذا من خلاله إلى التراث اليوناني، وهذا المنهج "السلفي" أو "العودوي" كما سماه زكي نجيب محمود؛ هو بمثابة البحث في خبايا التراث اللغوي بغية إدراك أسرار العلم اللساني الحديث من جهة، وتقييم التفكير التاريخي في الظاهرة اللغوية بمنظور حديث من جهة أخرى.[3]

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص ص 13-14.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

2-1 الأصول العربية الأولى لمصطلح اللسانيات:

إن مفهوم مصطلح اللسانيات أو بالأحرى علم اللسان، قديم في التفكير العربي؛ وهو لفظ دال على كل دراسة خاصة باللسان تمييزا لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه، علم الكلام، علم الحديث، علم المنطق، الفقه التعريفي وغيرها من فنون المعرفة.[1]

وقد ذكر عبد الرحمن الحاج صالح عدة معاني ترادف لفظة "لغة" في التراث العربي عند نحاتنا الأوائل فهي تارة تدل على "علم اللسان العام" وتارة تدل على اختلاف المفهوم الاصطلاحي ، وتارة أخرى تدل على ما نجده في الكتب النحوية من اختلافات في الاستعمالات اللغوية بين مختلف القبائل العربية على غرار لغة أهل الحجاز ولغة هذيل وغيرها من القبائل.[2]

وورد مصطلح (علم اللسان) في كتاب إحصاء العلوم للفارابي[3] (ت 349) للدلالة على كل العلوم اللغوية وفروعه من اللغة والنحو والصرف والشعر والكتابة والقراءة...التي يتألف منها علم اللسان عند جميع الشعوب وهي: علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وقوانينها عندما تكون مركبة، وعلم قوانين الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، قوانين تصحيح القراءة الأشعار..[4]، فضلا عن وروده في محكم ابن سيدة (ت458) إذ يقول: " أما بعدُ: طلب العلم لجفونه، الكاتب لحور عيونه، الراتع منه في أزاهير فنونه...وشرح ما أجملت لك من ذلك: أن بارئنا جل وعز، لما أراد الإحسان إليك والامتنان

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، ج1، الجزائر، 2012، ص 24./وينظر: معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد،2013، ص 10.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2008، ص 37.

[3] معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة ، المرجع السابق، ص 9.

[4] الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1949، ص 47.

بفضله عليك ...لما جمع العلوم النافعة من الديانيات واللسانيات فسلك مناهجها وشهر بمقدماتها ونتائجها.."[1].

ويرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن استعمال الفارابي للمصطلح له دلالتين[2]؛ إذ أراد بهذا الكلام القيم أن يوضح لنا مفهوم علم اللسان الذي تصوره العرب، فلاحظ بالخصوص العبارات: "في لسان كل أمة" و"فيما هو مشترك له ولغيره"[3] فإنها تدل بوضوح على عدم اقتصار الفارابي في تقسيماته لموضوعات علم اللسان على أساس معين، وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوروبيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر، حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب[4] وخصوصا هذا الكتاب–ويقصد هنا كتاب إحصاء العلوم للفارابي– ويجب أن نذكر أن الفارابي عاشر مدة طويلة النحوي الممتاز أبا بكر السراج وأفاد منه كل هذه المعلومات التي يذكرها هنا، وهي راجعة في الأصل إلى ما استخرجه النحاة من العربية، ويوافقهم في بعض هذه الأشياء خاصة باللسان العربي والبعض الآخر –كانقسام الكلم إلى اسم وفعل وحرف– عام الوجود وأقدم كتاب رأينا فيه هذا هو كتاب المقتضب للمبرد شيخ ابن السراج.[5]

فنجد من خلال ما سبق دلالتين أولهما: عامة تعني دراسة اللسان البشري دراسة علمية، وثانيهما: الاقتصار على لسان بعينه[6]، مما يبرر لنا اليوم استعمال مصطلح اللسانيات للدلالة على الدراسة العلمية العامة للنظام اللغوي، وظاهرة التبليغ البشري أو ما

---

[1] ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 3000، ج1، ص ص 31_32.

[2] معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة المرجع السابق، ص 12–13.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص76.

[4] المرجع نفسه، ص 86.

[5] المرجع نفسه، ص76.

[6] معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة المرجع السابق، ص 12.

يعرف تحديدا (Linguistique)[1] كما يمكن إدخال جوانب علمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات المعاصرة يطلق عليه اسم اللسانيات التطبيقية.[2]

ثم يضيف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قوله: "من اللافت للنظر أن الترجمة اللاتينية لكتاب (إحصاء العلوم) للفارابي التي قام بها (Girardo cromonensi) في القرن الثاني عشر ميلادي [3] فقد جاءت هذه العبارة Scientia Lingue مقابلة للفظ علم اللسان، وقد عرفنا أن هذه العبارة هي التي يحدد بها الآن مضمون الLinguistics في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة، وهي The sience of language أو ما يماثلها في اللغات الأوروبية الأخرى، ثم إن هذه التسمية بهذا المفهوم الذي وجده الأوروبيون في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر وبما أن هذه الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي كأقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الLinguistics في عصرنا الحاضر، فلا نظن أنه يوجد لفظ أصلح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب ال Linguistics أنفسهم".[4]

بعد هذا الكلام مباشرة يعقب الأستاذ عبد الرحمن الحاج بالقول:" لا نعني بذلك طبعا أن ما قاله الفارابي في هذا الكتاب –وفي غيره مما ترجم أيضا إلى اللاتينية– هو مصدر كل ما يوجد الآن في علم اللسان الحديث؛ فإن في هذا العلم أمورا كثيرة ابتدعت في زماننا، بل مقصودنا هو أن المفهوم الذي تصوره العرب لعلم اللسان (علم يتناول العام والخاص من الأحداث اللغوية، أي ما تشترك فيه جميع اللغات وما تختص به وما ينقسم إليه من أقسام

[1] ينظر: معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة المرجع السابق، ص13.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، المرجع السابق، ص87.

[4] المرجع نفسه، ص 87.

غير معروفة بهذه الدقة)، هو أول مفهوم كان يمكن أن تنطلق منه ال Linguistics فيما بعد".[1]

وقد أقر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن استعمال عبارة (علم اللسان) أو (اللسانيات) عند علماء العربية تدل على اللغة العربية فقط، وكان العلماء القدماء كأبي عمرو بن العلاء (ت 154)، والخليل وسيبويه وأصحابهم يعبرون عن هذا المدلول بلفظ (العربية) فقط أو (علم العربية)[2]، فتصورات القدماء مقاربة للمصطلح الحديث Linguistique متصورا في أثواب متعددة منها اللسنيات والألسنية واللسانية واللسانيات الذي استقر مصطلحا عاما وشائعا في أغلب المحافل اللغوية والدراسات الحديثة بعد أن قررته ندوة اللسانيات في دورتها الرابعة عام [3] 1978 باقتراحات تقدم بها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، إذا استعمله في معهد الدراسات الصوتية واللسانية في الجزائر عند إصداره لمجلة اللسانيات، والتخلي عن غيره من المصطلحات التي تثير كثيرا من الغموض والالتباس.[4]

وقد ترجم بعض الباحثين العرب لفظ (Linguistics) ب (علم اللغة)، كما هو الحال عند إخواننا المشارقة وأيضا "لغويات"، أما في المغرب العربي –ربما بتأثير مقدمة ابن خلدون– فقد تم تعريب ال Linguistique إلى "لسانيات أو ألسنيات" [5] فقد ذكر عبد الرحمن الحاج صالح أنه يميل إلى استعمال كلمة (لسان) ويفضلها على كلمة (لغة)، فكلمة

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، المرجع السابق، ص 88. (الهامش).

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، ص 24./ وينظر: معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص9.

[3] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2006، ص 151.

[4] المرجع نفسه، ص 151.

[5] ينظر: سعد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1989،ص45

(لغة) –عنده– لا تدل دائما على مفهوم اللسان [1] أي على ما حدده ابن جني (ت392) في الخصائص بأن اللغة: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، يرد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فيقول: فالأمر ليس هكذا؛ لأنه وإن دلت كلمة (لغة) على هذا المعنى العام عند ابن جني مثلا فقد تدل أيضا على معان أخرى مشتركة مشهورة، وربما غلبت هذه المعاني الفرعية على المفهوم العام.[3]

وهذا ما ذهب إليه أيضا مصطفى غلفان إذ يفرق بين مصطلحي "علم اللغة واللسانيات حيث يقول:" نعتقد أن عبارة "علم اللغة" ملتبسة وغير دقيقة ذلك أنها تسمية لا تشمل اللسانيات فقط وإنما كل العلوم التي تتناول اللغة le language من بعيد أو من قريب وقد قلنا سابقا أن اللغة بمعناها العام ليست من اختصاص اللسانيات وحدها، وإنما هي مجال مباحث أخرى، ألا تدرس الفيزياء أصوات اللغة دراسة علمية؟ والأمر يصدق على علم النفس والمنطق والرياضيات، فهذه المجالات أيضا تدرس اللغة دراسة علمية وبالتالي فإن تسمية هذه العلوم تختلف عن اللسانيات من حيث منظورها للغة، ومن حيث الوسائل المستعملة، ومن حيث الغاية والأهداف التي تسعى إليها هذه الاختصاصات، وفي رأينا –يضيف مصطفى غلفان– أن أساس الخلط والغموض هو التعريف العام الذي يعطي للسانيات: "هي الدراسة العلمية للغة".[4]

واللسانيات دراسة علمية للغة وهذا هو الدليل على أن اللغة المقصودة هنا ليس لها علاقة بالمفهوم الحسي أو الواقعي للغة أي: اللغة كأصوات نسمعها ونتعرف إليها[5] فاللسانيات منذ دوسوسير تقسم الظاهرة اللغوية إلى ثلاث مستويات: اللغة واللسان والكلام،

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 36.

[2] أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، ص 33.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 36.

[4] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 1010، ص193.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وموضوع اللسانيات ليس هو اللغة بمعناها العام أي: الملكة اللغوية أو القدرة على اللغو بغض النظر عن العرق والجنس والمجتمع وهو ما يسميه الفرنسيون Le langage، وإنما اللسان la langue ذلك النسق من القواعد المجردة العامة والمشتركة بين المتكلمين داخل مجتمع لغوي محدد... محكوم بغاية واحدة هي "دراسة اللسان لذاته ومن أجل ذاته" وهي المقولة الشهيرة لدوسوسير التي كانت وراء استقلالية اللسانيات كعلم في ذاته له إطاره وموضوعه وأدواته الإجرائية والمنهجية المتميزة عن غيرها من المجالات، التي كانت مندمجة معها أو القريبة منها كالنحو والبلاغة وتحليل النصوص والفيلولوجيا، وغيرها من الممارسات اللغوية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تتناول بدورها قضايا اللغة من زاوية خاصة بها.[1]

وعندما ندرس اللغة بِعدِّها ظاهرة فردية واجتماعية معا نقوم بوصفها كسلوك بشري، فالأفراد يتكلمون ويكتبون ويقرؤون ويفهمون ما يسمعون ولم يولدوا بهذه المهارة ولكنهم اكتسبوها، ولكي نستطيع فهم اللغة بِعدِّها ظاهرة فردية علينا أن نعرف كيفية اكتساب الفرد للغة وعلاقتها بالنظم المعرفية والعمليات العقلية التي تتضمن المقدرة على التكلم، فالآليات الداخلية التي تعمل عندما نتكلم أو نفهم تفترض وجود ما يسمى بالعقل، وعليه فدراسة اللغة من هذا المنطلق تؤيد الاعتقاد القائل بأن اكتساب مهارة اللغة أمر فطري، ويقول بعض علماء اللغة، في هذا الصدد بأن الطفل يولد ولديه مقدرة لغوية موروثة، وآخرون يقولون بأن القدرة على اكتساب اللغة ما هي إلا جزء من القدرة المعرفية العامة للمخلوق البشري التي تساعده على التعلم .[2]

ومن خلال عرض رأي مصطفى غلفان وتفريقه بين مصطلحي علم اللغة واللسانيات واستقراره على مصطلح "لسانيات" في الترجمة لمصطلح الLinguistique يتضح لنا جليا

[1] ينظر: مصطفي غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، المرجع السابق، ص 194 .

[2] ينظر: شحدة فارع، جهاد حمدان وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2000، ص 291.

لماذا استقر عبد الرحمن الحاج صالح على مصطلح " لسانيات "وهو من اقترحه" لأن علم اللغة تتنازعه عدة علوم منها النحو، البلاغة، الفيلولوجيا...على خلاف اللسان الذي يدرس اللغة لذاتها ولأجل ذاتها كما عرفه فرديناند ديسوسير[1].

2-2 أصول المقاربة اللسانية:

تعود الأصول الأولى للمقاربة اللسانية البينوية إلى الأفكار والتصورات التي عبر عنها بكيفية غير مباشرة كل من "بودوان دو كورتناي" (1845-1929) "Baudouin de Coutenay" و"ويليام ويتني" (1827-1894) "William Dwight Whitney" و"فرديناند دو سوسير" (1857-1913) "Ferdinand de Saussure" فهم يعدون بنسب متفاوتة الأهمية مجدّدين ومؤسّسين للفكر اللساني الجديد، والذين بفضلهم ظهرت ملامحه النظرية والمنهجية، من خلال دروس ومحاضرات أُلقيت، أو مقالات نشرت هنا وهناك[2].

كما يرجع الفضل العظيم إلى هؤلاء العلماء في الانتقال بالبحث اللغوي من المرحلة التاريخية إلى مرحلة جديدة هي المرحلة الوصفية بما سيترتب عنها من مناهج جديدة وبالرغم مما أتى به هؤلاء اللسانيون من جديد الفكر والتبصر في قضايا اللغة البشرية وطرائق معالجتها وتحليلها، لم تنتقل اللسانيات إلى واجهة العلوم الإنسانية وتصبح علما طليعيا إلى حين ارتباطها بصفة "البينوية" أو "الوصفية"، ولم تبلغ اللسانيات أيضا ما بلغته من الموضوعية والدقة العلمية، إلا بعد أن وضعت منهجيتها المضبوطة تصوريا وإجرائيا وعملت على تثبيتها في أوروبا وأمريكا[3]، فالمعالجة البينوية هي وحدها التي أكسبت اللسانيات في النصف الأول من القرن العشرين سِمتها الخاصة ، وهكذا كانت اللسانيات البينوية هي:

---

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، المرجع السابق، ص 194.

[2] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 15.

[3] المرجع نفسه ، ص 15.

"الشرارة التي ألهبت حقل البحث اللساني الحديث مبرزة من جديد قيمة آراء الرواد التي شكلت الأسس المتينة للسانيات".[1]

وأول من دعا إلى الاهتمام باللغة كنظام هو العالم السويسري فرديناند دي سوسير بعد أن كانت قبله تدرَّس بمنهج تاريخي، وقد تبعه بعد ذلك أصحاب حلقة براغ اللغوية المشهورة، وهم من جعل الوظيفة الأساسية للغة هي التبليغ والبيان (Communication)وجعله المقياس الوحيد في تفسير الظواهر اللغوية، وقد تبعتها في ذلك المدرسة الوظيفية الفرنسية التي يتزعمها اللغوي أندري مارتيني "André Martinet" (1908م–1999م) والمدرسة الدانمركية المشهورة التي تزعمها العبقري لويس يمسليف "Louis Hjemslev"(1899م–1965م).[2]

ومفهوم اللسان أو اللسانيات حسب ما عرفه العلم الحديث: علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية[3]، فتكون دراسته بِعدّه موضوعا من موضوعات البحث العلمي وتتجنب في نفس الوقت كل التصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللغة ومختلف مظاهرها[4]، وتقوم الدراسة على الوصف ومعاينة الحقائق بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية[5].

وقد عرَّف أندري مارتينيه (A. Martinet) اللسان بأنه: "أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف جماعة أخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (Monèmes) يتقطع

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، المرجع السابق ، ص 16.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 240.

[3] معالي هاشم علي أبو المعالي، المرجع السابق، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص11.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 38.

[5] معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة المرجع السابق، ص11.

هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة[1]: هي العناصر الصوتية أو الوظيفية (Phonèmes) ويكون عددها محصورا في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة"[2].

وقد حاول اللغويون العرب اقتراح نظرة جديدة إلى اللغة وكيفية دراستها، وذلك من خلال إعادة قراءة التراث اللغوي؛ سواء في ضوء المناهج اللغوية الحديثة، أو في ضوء هذا التراث نفسه، وتدخل في هذا الاتجاه سلسلة المحاولات التي سعت إلى تجديد الرؤية في الدراسة اللغوية، ومنه ما قام به المسيرون، ودعاة التجديد وكل الجهود اللغوية، التي حاولت تطبيق بعض مناهج البحث اللغوي الحديثة في ما يدخل في الفيلولوجيا والتأريخ والمقارنة.[3]

وإن أول مصطلح استعمل مقابلا لمصطلح "Linguistics" الانجليزي، أو "Linguistique" الفرنسي، في أغلب التصانيف اللسانية المبكرة، هو مصطلح "علم اللغة" إذ جعله علي عبد الواحد وافي عنوانا لكتابه (1941)، وقد ظل المصطلح مستعملا إلى اليوم في الكثير منها[4].

وإلى جانب علم اللغة ظهرت تسميات أخرى من ذلك "علم اللسان"، وهذا المصطلح ترجمه أول مرة "محمد مندور" لبحث اللساني الفرنسي "أنطوان ماييه" المعنون ب "Linguistique" حيث ترجمه بـ:"علم اللسان"، وقد ظهر في ترجمة محمد مندور "منهج البحث في الأدب واللغة (1936)، ثم ظهر مصطلح الألسنية، حيث وظّفه "صالح القرمادي"

---

[1] ينظر: معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة ، المرجع السابق، ص11.

[2] A.Martinet, Eléments de linguistique générale, Paris, 1976, P 13. ترجمة عبد الرحمن صالح.

[3] فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 2.

[4] المرجع نفسه، ص 20.

قاصدا به علم اللهجات عندما نشر ترجمته لكتاب "جان كانتينو" دروس في علم أصوات العربية[1].

[1] فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، المرجع السابق، ص 20.

الفصل الأول:

الفصل الأول: منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في المزاوجة بين التأصيل والتجديد.

1_ موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من التراث والتجديد.

1-1 موقفه من التراث.

1-2 موقفه من التجديد.

1-3 دفاعه عن أصالة النحو العربي.

2- قضايا الترجمة والمصطلح عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح

2-1 الترجمة والمصطلح العربي.

2-2التعريب غير كاف لترجمة المصطلحات العلمية المستجدة.

2-3إشكاليات الترجمة وحلولها عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

تمهيد

سأتناول في هذا الفصل موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من التأصيل والتجديد ومنهجه في المزاوجة بينهما، كما سأتطرق إلى قضية إثبات أصالة النحو العربي ودرء شبهة تأثره بالمنطق اليوناني، ثم أعرض قضايا الترجمة من وجهة نظره من خلال طرح مشاكلها وكيفية معالجتها كما تناولها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

1-موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من التأصيل والتجديد.

إن تعريف المنهج كما جاء عند عبد الواحد الدكيكي:"هو مجموع الآليات والإجراءات التحليلية المتبعة في تحليل موضوع سبق تحديد فرضيته العلمية، وهو يمثل تتابع إجراءات التحليل بشكل منطقي غير البرهنة وتوصيف المعطيات؛ تصنيفا وتفريعا، لغاية استخلاص النتائج المتحكمة في حركية الظاهرة الموصوفة، وشعب المنهج المتعارف عليها في النظريات العلمية المعاصرة إما تجريبية أو عقلانية".[1]

ويتميز منهج الأستاذ عبد الرحمن: ب"استقصاء الدقة، إذ لا نكاد نعرف أي تخصص هو لتمازج الاختصاصات في كتبه، يدقق في المصطلحات العلمية ولا يتساهل مع المتساهلين خصوصا ممن أهملوا التراث واتبعوا ما تعلموه من الغرب"[2].

ولا نستطيع بأي شكل من الأشكال أن نحدد أي منهج علمي اتبع بالتحديد، فهو يستقرئ تارة، ويصف تارة، ويقارن تارة أخرى، هذا التمازج في المناهج جعله يصل إلى نتائج متميزة يزاوج بين التراث العربي الذي يصفه بالعلمية وبين النظريات الغربية؛ إذ يمكن أن نقر أن منهجه عقلي يتوخى المنطق.

---

[1]عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، أعمال ندوة اللسانيات وإعادة البناء، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2014، ص 77.(مطبوع).

[2]معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص 168.

وقد ألقى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح محاضرات في الشرق والغرب في الجزائر وخارجها؛ إذ استمعت إلى جل ما قاله وكانت ملخصا عن حياته وعن منهجه، فقد سأله أحد الحاضرين عن كيفية الوصول إلى كل هذا العلم وهذا التجديد الذي طال الدراسات اللسانية العربية[1]، فأجابه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "حياتي كانت علمية قبل كل شيء، هربت من الشرطة الفرنسية إذ كنت عضوا مناضلا في حزب الشعب، وكنت تلميذا أيضا في المدارس الفرنسية في الجزائر، اكتشفت كتاب سيبويه في مصر عندما ذهبت لأدرس في الأزهر[2]، واشتممت فيه رائحة علمية دقيقة جدا وهو تلميذ للخليل والخليل رياضي"[3].

ويردف الأستاذ بقوله: "أنا لست من المحافظين أنا لا أحافظ على شيء إلا على الإسلام واللغة العربية، والشيء الذي له قيمة ، ما خلا ذلك فأنا مجدد وهو التجديد الذي لا يظلم القدماء ولا يمس بما هو مفيد عندهم[4] "، ويقول أيضا:" أنا لا أدافع على أحد إلا إذا كان عبقريا، والعبقري موجود منه في القديم وفي الحديث، ونحن لا نفضل وقت على وقت فالتراث فيه الغث والسمين، وقد وجدت أن في القديم عباقرة[5] ، فسيبويه في "الكتاب" والخليل في معجمه "العين"، والزمخشري في "الكشاف" والرضي الاستربادي أعجبت بعبقريتهم وقد سبقوا زمانهم بآلاف السنين، قبل أن يأتي عصر الركود والجمود، وأنصح بقراءة كتبهم القيمة"[6].

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة العربية المحوسبة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 07 ماي 2009.SCricted university جمال مرسلي، 2020/12/11، 12:23.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

[5] المرجع نفسه

[6] المرجع نفسه.

1-1 موقفه من التراث.

سأتناول في هذا العنصر مفهوم التراث عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وموقفه منه؛ إذ يعرّف التراث عموما بأنه كل ما وصل إلينا من داخل الحضارة السائدة؛ ويعد قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد المستويات[1]، وأما الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فعرفه بأنه: "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الإعجام والنقط لتصحيح القراءة ".[2]

لقد اطّلع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على كل جديد في مجال اللغة وعلوم اللسان واتخذ التراث اللغوي العربي الأصيل منطلقا لفكره اللساني امتدادًا لما خلّفه النحاة القدماء، وأكبر دليل على ذلك كله هو إدراجه لبحوثه العلمية ومقالاته اللغوية تحت إطار مسمّى:"النظرية الخليلية الحديثة"، برهانا منه على تمسكه بالأصالة ووفائه لهذا الفكر النير، واعترافا منه بقيمة ما قدمه أولئك اللغويون القدماء من جهود تضاهي في حداثتها ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الغربية، وقد قام بنسبة تسميتها إلى "الخليل بن أحمد الفراهيدي: من باب التغليب، لأنه كان هو العماد فيها.[3]

ويظهر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال بحوثه اللسانية نصيرا للاجتهاد الكامنة حقيقته في الابتعاد عن التقليد الأعمى للعرب القدامى أو حتى للغربيين، بحيث نتخذ

---

[1] حسن حنفي، التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص 13.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، وحدة الرغاية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2008، ص 7.

[3] ينظر: أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا :منهج تحليل وأسلوب تفضيل، مجلة المرتقى،المجلد 2، العدد1،جامعة مستغانم، الجزائر، 2019، ص 33,

أقوال البعض "حقائق لا تقبل الجدال وعدم الإتيان بأي ابتكار، لا في الأقوال ولا في الأفعال –ونحن لهم أتباع في ذلك مجتهدين لا مقلدين إن شاء الله–[1] في دعوة منه إلى جعل ما خلفوه ثروة فكر ولغة، منطلقا لبحوث جديدة من خلال فتح مجال الاجتهاد فيها، وهو يرى بأن" سيبويه " لم يكُن من المقلدين أبدا بل أثرى نظرية أستاذه "الخليل" هو ومن جاء بعده.[2]

يحث الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على تجنب –قدر الإمكان– التقليد الأعمى الذي يؤدي إلى الحضيض، ونذكر بهذا الصدد ذلكم التقليد المنحوس المؤسف الذي سار على نهجه بعض المعاصرين في مادة الصوتيات؛ لكل المفاهيم الغربية التقليدية مثل الSyllabe والVoyelle (الطويلة والقصيرة) والaccent وغيرها كما جاءت في كتبهم اللغوية، أي على أنها حقائق غير قابلة للجدال لا على أنها مجرد مفاهيم تصورها بعض الناس.[3]

ثم إن مبدأ استلهام التراث يتنزل لدى العرب في عصرنا منزلة التأصيل الفردي الذي بدونه يضل الفكر العربي سجين الأخذ، محظورا عليه العطاء وهذا الذي أنطق بعض رواده المعاصرين بالقول:" لكننا ما نزال في دنيا الفكر متخلفين إلى الدرجة التي استأذن القارئ في أن أقول عنها إنها الدرجة الدنيا التي ليس لنا فيها فكر عربي معاصر مع أن تراثنا يمدنا بالخامة الولود التي يمكن أن تتخذ منها محورا لموقف عربي أصيل إزاء القضايا الإنسانية الكبرى المطروحة على الألسنة والأقلام، ومع ذلك ترانا أحد رجُلين فإما ناقل لفكر غربي وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر "العربي" وفي الحالة الثانية سنفقد

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 247.

[2] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا، المرجع السابق، ص 34.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، المرجع السابق، ص 139.

عنصر "المعاصرة" والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين".[1]

وقد عُرف عن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح صرامَته في منهجه العلمي والبحثي باحثا ناقدا غيره من الباحثين، خاصة في طريقة تعاملهم مع التراث العربي خصوصا بعد عودتهم من الدراسة في الجامعات الغربية، متشبعين بفكر الجاحدين لجهود اللغويين القدامى، خلافا لما فعله بعض المنصفين من المفكرين الغربيين الذين أثبتوا عبقرية العقلية اللغوية عند النحاة العرب القدامى، مؤيدين بذلك جهود اللسانيين العرب المحدثين الذين يسعون جاهدين لرد الاعتبار لهذا التراث اللغوي العربي الذي يعتبر مرحلة حاسمة في تاريخ الفكر اللغوي برمته مثلما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

وأكد على ذلك بعض طلبته ومن بينهم (مازن الوعر) إذ قال: "لا أريد أن أقول –لأني عربي– إن التراث اللغوي يعد تحولا كبيرا جدا في مسيرة التراث اللغوي العالمي ولكني أقول هذا؛ لأن الحقائق العلمية حول هذا الموضوع مثبتة تاريخيا، ولأني أكرر ما كنت قد ذكرته في مقالات عديدة، من إنه لو التفت الغرب المعاصر إلى التأريخ اللغوي التراثي العربي، لكان علم اللسانيات الحديث في مرحلة متقدمة عن الزمن الذي هو فيه فهذه الحقيقة –يقول الوعر– شاركني فيها عالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي خلال حوار كنت أجريته معه 1982، وقد نشرت ما قاله حول هذا الموضوع في مجلة اللسانيات الصادرة من معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر (المجلد 6–1984)"[2].

[1] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا ، المرجع السابق ، نقلا عن: زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2، 1973،ص 254.

[2] مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع48، 1992، ص 88.

والواقع، أن الذي فعله النحاة العرب القدامى من أجل اللغة العربية يعد جزءا من التراث اللغوي العربي وليس كله، إذ كل عمل عربي وصل إليه هؤلاء الدارسين العرب كان من أجل تفسير النص القرآني.[1]

وقد لخص لنا الدكتور زكي نجيب محمود الصراع القائم بين الاتجاهين المحافظ والمجدد، فمقولة التراث تستند عند عامة المفكرين العرب على مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز، وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر والمتميز، فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب، إلا أن قراءة التراث منهج لا يعوزه التأسيس اللساني في حد ذاته فكل قراءة هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلا موجود لغوي قائم الذات باعتباره كتلة من الدوال المتراصفة، وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده، فكما أن الرسالة اللسانية عند بثها قد تصادف أكثر من متقبل واحد فيفككها كلٌ حسب أنماط جداوله اللغوية، فتعدد القراءة آنيا للرسالة الواحدة حسب تعدد المتقبلين، فكذلك تتعدد القراءة زمنيا بتعاقب المتقبلين والمفككين لبنائها عبر محور الزمن والتاريخ، وهكذا تتبين الشرعية اللسانية لمقولة القراءة والاستعادة طالما جاز تعدد المتقبلين للرسالة الواحدة وتنوع إدراكهم لأنماطها.[2]

ويشير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى منهجه نحو التراث اللغوي الذي خلفه القدماء فيقول:"ولقد التزمنا بأن نأتي على كل تأويل نقترحه لكل مفهوم، بدليل قاطع يعصمنا البحث عنه والإتيان به عن كل تعسف، وذلك حتى لا نُحَمِّلَ أقوال القدامى أكثر مما تحتمله، باعتماد طرق علمية دقيقة للكشف عن الدلالات المقصودة بالفعل"[3].

[1] مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات،المرجع السابق، ص 88.

[2] ينظر: عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 13.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 81.

من خلال هذا القول الأخير نستنتج أن للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح منهج خاص به في التعامل مع التراث اللغوي العربي، بالاعتماد على طرق علمية صحيحة لتكون النتائج دقيقة قدر المستطاع، وهو منهج قلَّ من يعتمده في عصرنا، لأن أغلب الباحثين في اللغة العربية أبهرتهم النظريات الغربية فراحوا يترجمون لها ويعتدون بها دون تمحيص أو حتى مقارنتها بما جاء في التراث وهذا ما انتقده الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بشدة.

1-2 موقفه من التجديد.

سأتناول في هذا العنصر ما قاله الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فيما يخص منهجه في التجديد؛ إذ إن التجديد هو "إعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر فالقديم يسبق الجديد والأصالة أساس المعاصرة"[1] والتجديد هو الغاية وهو المساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته، والقضاء على معوقاته، وفتح مغاليقه التي تمنع أي محاولة لتطويره[2]، وقد آثر عبد الرحمن الحسن العارف مصطلح "المعاصرة" دون مصطلح "الحداثة"؛ لأن للمعاصرة بعدين: أحدهما زمني والآخر موضوعي، فأما البعد الزمني لها؛ فهو أنها تمتد لأكثر من أربعين سنة خلت، وهذه المدة ليست ببعيدة عن المدة الزمنية لتجارب اللسانيين المعاصرين–ولاسيما عبد الرحمن الحاج صالح– وأما البعد الموضوعي؛ فهو أنها تعني تلك الإشكاليات والمفارقات اللغوية التي استجدت في الفكر اللساني بفعل ما أملته الظروف ومتطلبات العصر، وهذا ما يصدق على حقيقة هذه الدراسات اللسانية.[3]

---

[1] حسن حنفي، التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"، المرجع السابق، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] عبد الرحمن الحسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر 1932_1985م، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت ، 2013، ص 18 _19.

وأما الحديث عن الأمانة العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح؛ فشواهد ذلك كثيرة، إذ ينقل المعلومات دون تحيز لأي طرف مهما كان، ثم يظهر ما كان لكلٍّ من فضلٍ [1]، فعند ذكره لمفهوم "التحويل" يؤكد الأستاذ عبد الرحمن على أنه مفهوم عربي "لا تعرفه" البنوية، باستثناء "هاريس" (Zelling Sabbettai Harris، 1909–1992)، وهو شاذ وقد وفق تشومسكي (1928, Avram Noam Chomsky) في إحيائه، غير أنه لم يجعله الأساس في كل شيء، كما هو الحال عند النحاة العرب الأولين".[2]

ويخلص الدكتور الحاج صالح إلى أن المفكرين العرب قسمان: أحدهما متأثر بالثقافة الأجنبية المعاصرة، ويتعصب لمفاهيمها التي يرى فيها الصلاح المطلق، ويرفض تماما ما تركه اللغويون العرب القدامى، فكانوا ممن "عظموا الغرب ومفاهيمه وجعلوها قطب الرحى في كل دراسة، صغُر في عيونهم ما أنجزته الدراسات العربية القديمة في اللغة ومناهجها،[3]وفي المقابل قسم آخر منعزل عن كل التيارات الفكرية العلمية الحديثة، وقد أصرَّ على أن يبقى متعلقا بالثقافة المتحجرة التي تلت القرن الخامس الهجري، وهذان القسمين كما ذكر حافظ اسماعيلي علوي أنهم :" قد أثرا سلبا على وتيرة البحث اللساني العربي من حيث المنهج والجوهر والغاية، فكان نتيجة ذلك أن أضر هؤلاء اللسانيين بسلوكهم هذا بالتراث العلمي اللغوي العربي"[4]، ومن بين الذين انتقد هؤلاء بشدة نجد "مازن الوعر" تلميذ عبد الرحمن الحاج صالح إذ يرى أن تطبيق تلك النظريات الغربية على

[1] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا ، المرجع السابق، ص 35.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 43.

[3] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا ، المرجع السابق ، ص39.

[4] حافظ اسماعيلي علوي وآخرون، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص 93.

اللهجات ثم على العربية الفصحى التي لا يعرفونها حق المعرفة؛ فكان نتاجهم فوضوي وسطحي، كما كانت تطبيقاتهم إساءة للتراث اللغوي العربي واللغة العربية.[1]

كما يعيب الأستاذ على المتعصبين في البحث على مذهب بعينه، وهذا راجع إلى قلة الإلمام بكل ما ينبغي على الباحث اللساني أن يتسلح به انطلاقا من النزاهة، ويرى أن الكتابة اللسانية في المشرق أو في المغرب حاضرة بكثرة، غير أنها لا تراعي التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية، فيطبق الباحث"البِنَوية" على العربية أو النحو التوليدي كما هما دون نظر فيهما، وهذه سمة أغلب الكتابات اللسانية التمهيدية وخاصة في المشرق العربي، ومن أمثلة من اتبعوا هذا المنهج نجد عبد الرحمن أيوب وتمام حسان إذ يمدح هذا الأخير "البنوية" أو الوصفية باعتبارها سمة القرن العشرين فاصطبغ بها كما اصطبغ القرن التاسع عشر بالصبغة التاريخية، بل وتجده في موضع آخر يصرح بأنه تعرض للبحث في التراث اللغوي العربي، متخذا المنهج الوصفي وسيلة للدراسة والتجديد فيه مشيرا إلى أن الغاية التي يسعى وراءها تتمثل في أن يلقي ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله، منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية لهُوَ أجرأُ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد "سيبويه" و"عبد القاهر"[2] على حد تعبيره.

ويتخذ الأستاذ الحاج صالح منهجا موضوعيا وسطا قائما على "ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث مما هو مجمع على صلاحيته، أو بتسليط النقد البناء عليه"[3]، مع التركيز على انتهاج الاختيار، محكما لقبول هذه النظرية أو تلك فالمسألة عنده دوما مسألة تجربة واختبار بما تسمح له التكنولوجيا الحديثة، دون إقصاء لأي قول قديم أو

[1] ينظر: أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا، المرجع السابق، ص ص 39-40.

[2] تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص10.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق،ص 124.

حديث انطلاقا من قناعته الراسخة أن الفكر اللغوي العربي القديم قد اهتدى إلى "قناعات ألسنية سبقت عصرها، وأننا باستنطاقنا لهذا التراث نحاول ربط الماضي بالحاضر العربي، ونقدم إسهاما نظريا وتطبيقيا جديدا في الألسنية العربية الحديثة".[1]

ونجد أن موقف الأستاذ الحاج صالح من التراث اللغوي القديم يتمثل في الانتصار له ولمبدعيه، إذ جعله في شموليته مادة لدراساته المختلفة، مع قراءة علمية جادة منه لمجموع التصورات اللغوية القديمة، عاملا على تأويلها وفق ما توصل إليه البحث اللساني الحديث موفقا بين نتائج الفكر اللغوي التراثي القديم، والنظريات اللسانية الحديثة، مجتهدا في إخراجها في شكل هيئة جديدة تؤكد قيمتها الحضارية الراسخة، جامعا بين التراث والحداثة، إذ استطاع بفضل منهجه الوسطي المتمثل في المقابلة بين أفكار علماء اللسان قديما، والمقولات التي طورتها هذه النظريات اللسانية المتعاقبة، وأن يعمل على تأصيل كثير من تلك المقولات في التراث اللساني العربي نفسه.[2]

والجدير بالذكر أن البيان العربي يتأسس على سحر الكلمة على حد قول حافظ إسماعيلي علوي ووقعها، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا طغيان الموقف الحضاري على كل قضايا اللغة: "فقد اعتبر العديد من الباحثين العرب الدراسة اللسانية أساسا للبرهنة على صحة التراث ونفوذه وقوته، وهذا ما تعبر عنه الكتابات اللسانية العربية التي حاولت الربط بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي ربطا آليا(لسانيات التراث)، فلم تخرج بذلك في مجملها

[1] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا ، المرجع السابق، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص43.

عن دعوات مماثلة أطرت الفكر العربي في كليته "[1]، ومن اللسانيين من يرفض الرجوع إلى الماضي؛ لأنهم يرون أن المعرفة اللسانية معرفة حديثة يجب أن نجردها من أي تاريخية ممكنة؛ لأن ذلك يسئ إلى الفهم، ويبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر، فالطريق الأمثل لتفادي الاستلاب التراثي، هو الخضوع للوعي التاريخي الذي سيفتح أعيننا على الواقع.[2]

وقد تناول "حافظ إسماعيلي علوي" في كتابه "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة" قضية الصراع بين التراث والحداثة ويصفه بأنه السبب هذا الشتات بين الباحثين العرب في عصرنا الحديث وأنه قلّص المسافة بينهم إذ يقول:" إذ يلاحظ المرء أنه في كل مؤتمر أو دورة لسانية كثيرا ما تدور الأحاديث والمناقشات حول التراث اللغوي العربي المتمثل بالأعمال التي وضعها الصوتيون والنحاة والبلاغيون العرب القدامى، وحول اللسانيات الحديثة كعلم قائم برأسه والمتمثل بالأعمال اللسانية التي وضعها وطورها الصوتيون والنحاة والدلاليون الغربيون في الولايات المتحدة الأمريكية أو في أوروبا، وهذا ينم عن تجذر الصراع واستفحاله".[3]

وهذا الصراع –حسب رأيي– لا يزال قائما بين المتعصبين للتراث وبين المتأثرين بالحضارة الغربية، وقد انتبه له الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ونبّه عنه فقد استحدث اتجاها جديدا سُمي بـ"الاتجاه التوافقي" بين التراث والحداثة فحواه أن يأخذ الدارس العربي كل ما كان مفيدا سواء في القديم أو الحديث دون الانسلاخ عن الهوية، ودون الانبهار والتقليد لكل ما هو غربي.

---

[1] حافظ إسماعيلي علوي،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] المرجع نفسه، ص 86.

وتجدر الإشارة إلى أن مقولة الحداثة عند العرب اليوم أغزر طرافة وأكثر إخصابا إذ تتنزل لديهم متفاعلة مع اقتضاءٍ آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر، وهذا الاقتضاء مداره قضية التراث من حيث هو يدعوهم إلى قراءته؛ ومعنى ذلك أن العرب يواجهون تراثهم لا على أنه ملك حضوري لديهم، ولكن على أنه ملك افتراضي يضل بالقوة ما لم يستردوه واسترداده هو استعادة له، واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد وحما الرؤى النقدية المعاصرة عليه[1].

وختاما لهذا المبحث الذي تناولنا فيه موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح –رحمه الله– من التراث والتجديد، ومنهجه في دراساته اللسانية، نستنتج أنه تحرى العمق والدقة والموضوعية التامة نائيا عن التحيز أو الميل إلى الذاتية المتعصبة، لا إلى القديم باسم التراث، ولا إلى الجديد باسم الحداثة، فالأصالة بمفهومها الصحيح عنده تأتي في مقابل التقليد لا في مقابل الحداثة، فالأصيل الذي ليس نسخة لغيره[2]، والتقليد عنده لا يعني الانغلاق على أفكار التراثيين، بل ينتصر إلى فكرة الاجتهاد والعبقرية في القديم أو الحديث اعتقادًا منه أن العلم نسبي، ومن الخطأ الاعتقاد بالعصمة، أو إن الأول لم يترك شيئا للآخر، فلم يكن يحْتكم إلا إلى العلمية، فيخضع كل الأقوال إلى النقد والتمحيص مهما كان مصدرها عربيا أو غربيا، وهو تارة يمدح الفطاحل من اللغويين القدماء في دقة مناهج تفكيرهم وتحليلاتهم، وكيفية تحريهم أثناء عملية جمعهم لأعظم مدونة لغوية باعتمادهم على منطق رياضي، إلا أن هذا لم يمنعه من القول بأن الكثير مما فكر فيه القدماء من علمائنا يحتاج إلى أن يُلتَفت إليه، ولا يترك إلا إذا أُتِي بالدليل على بطلانه [3].

[1] ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص ص11_12.

[2] أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا، المرجع السابق ، ص 34.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 202.

1-3-دفاعه عن أصالة النحو العربي:

1-3-1-أدلة الأستاذ عبد الرحمن على أصالة النحو العربي.

تعد قضية إثبات أصالة النحو العربي من أهم القضايا التي نالت اهتمام الباحثين اللغويين المعاصرين العرب، ومن بينهم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح التي تناولها بجدية، وأثبت أصالة النحو العربي بالأدلة والبراهين وبالشواهد، حتى لا يتسنى للمشككين الطعن في آرائه؛ وفحوى هذه القضية هو أن النحو العربي أصيل ولم يتأثر لا بالمنطق الأرسطي ولا بالفلسفة اليونانية ولا بالنحو السرياني، ولا بالنحو الهندي ولا غيرها.

إذ ذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه "منطق العرب في علوم اللسان" رواية نشأة النحو العربي ومشكل تحديدها زمنيا فيقول:" تنص الروايات الأولى –قبل القرن الرابع الهجري– على أن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي، وأقدم ما وصل إلينا من ذلك وأوثقه ما قاله ابن سلام الجمحي* (ت 231هـ) في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إذ يقول: "وكان لأهل البصرة في العربية قدْمة بالنحو وبلغات العرب وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، وكان رجل أهل البصرة وكان علوي الرأي...فكان سُراةُ الناس يَلحَنون فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم".[1]

* ابن سلام الجمحي هوأبو عبد الله محمد ابن سلام الجمحي البصري؛ وهو عالم من علماء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث هجري، أحد الإخباريين والرواة، ومن جملة أهل الأدب... له أثر كبير في تدوين الحقائق العلمية الشائعة في عصره، فهو لا يكتفي بنظرة ولا برأي ولا بكلام مفكك، بل يلم الفكرة من أطرافها ويأخذها أخذ العلماء بالنظر والتحليل، مات ابن سلام سنة 231هـ أو في السنة التي تليها . ينظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تمهيد الناشر الألماني: جوزف هل، دراسة عن المؤلف والكتاب: طه إبراهيم أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص 14_ 20.

[1] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ، المرجع السابق، ص 29.

ويبرهن الأستاذ عبد الرحمن على صحة هذا الرأي بدليل؛ أن أقدم نص وصلنا في هذا الشأن –ويقصد قول ابن سلام الجمحي– كان عال الإسناد –وإن لم ينص عليه– فقد سمع ابن سلام الجمحي ممن كان يعرفهم من النحاة وأقدمهم يونس بن حبيب وهو تلميذ أبي عمرو بن العلاء وأخذ أبو عمرو من تلميذي أبي الأسود الدؤلي وهما: يحي بن يعمر ونصر بن عاصم، فبين الجمحي وتلميذي أبي الأسود رجلان فقط، وهنا الأستاذ عبد الرحمن يطرح تساؤلا: كيف يصح عقلا أن يختلف ما يقوله عن نشأة النحو عما سمعه من مثل يونس أو الأصمعي أو سيبويه وأبي عبيدة بالتحريف أو الزيادة أو النقصان ولا يكذبه أحد من هؤلاء العلماء على الإطلاق؟، الإجابة: لا يمكن أن يكون أبو سلام الجمحي كاذبا ونقله غير صحيح فلو كان كذلك لتصدى له هؤلاء الذين يبق ذكرهم، ويضيف الأستاذ عبد الرحمن: "وأما ما حيك بعد ذلك من الأساطير فلا ينخدع بذلك إلا المتساهل الذي لا يعتمد على منهجية علمية في نقد أحداث التاريخ وما يرويه الرواة".[1]

ويضيف الأستاذ عبد الرحمن دليلا آخر يدافع فيه عن أبي الأسود الدؤلي وهو علمه الغزير في اللغة العربية وصحبته الطويلة مع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وقد اشتهر أيضا بمعرفته الواسعة للعربية، أضف إلى ذلك أن أبا الأسود كان من القراء وما كان يمكن أن يعالج نص القرآن إلا قارئ مثله هو، كما أنه عاصر عبد الله بن عباس –حبر الأمة– ومعاشرته له في البصرة، وخاصة عندما استعملهما الإمام علي –رضي الله عنه– وتأثر كل واحد منهما بالآخر، ومعرفتهما العميقة بالشعر العربي وبالعربية.[2]

وقد تحرى الأستاذ عبد الرحمن جل الأقوال التي ذكرت في هذه المسألة إذ يقول:" وقد نسب المبرد ثم ابن قتيبة وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي نصا؛ فالأول في كتاب الفاضل (ص5)، والثاني في المعارف (434) وفي عيون الأخبار 159/2، أما المبرد فأخذ

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص ص 18–19.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق ، ص 19.

من أبي حاتم القول بأن الإمام علي أعطاه أصولا بنى عليها "وهذان العالمان هم أقرب زمانا إلى أبي سلام الجمحي".[1]

ولقيت القضية اختلافا كبيرا من قبل الباحثين العرب أو المستشرقين، فمنهم من كان رأيه رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وهو أن أبا الأسود الدؤلي من وضع اللبنة الأولى لبناء النحو العربي، ومنهم من أنكر ذلك واحتجوا باستحالة الوضع في هذا الزمان المبكر الذي لم تنضج فيه الأفكار، وهنا يرد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على هذا الإنكار بقوله:" فقد ظهر اللحن في قراءة القرآن –كما ظهر في التخاطب اليومي–فكيف يمكن أن لا يقلق أحد من رعاة الأمة –القلق الشديد– ولا يحرك ساكنا وهم خلفاء رسول الله صلي الله عليه وسلم[2].

ويضيف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قوله: "بلى قد حصل ذلك منذ عهد بعيد ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– من حثه على تجنب الخطأ اللغوي الذي يشوه القراءة لكلام الله وكلام نبيه الكريم –عليه الصلاة والسلام– وما أبداه من الاهتمام باللغة العربية".[3]

من هنا نلاحظ أن حجة عبد الرحمن الحاج صالح في دفاعه عن أصالة النحو العربي هي أن للعربية رجال صانوا الأمانة بعد أن استطاع اللحن أن يصيب كلامها، ما دفع بالعلماء الأربعة من المسئولين عن العربية بالاهتمام والدفاع عن القرآن وعن لغته التي نزل بها وهؤلاء الأربعة هم:عمر بن الخطاب رضي الله عنه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزياد بن أبية، وهو على ولاية البصرة والكوفة، وأبو الأسود الدؤلي أحد قضاة البصرة [4].

---

[1] المرجع نفسه، ص 19.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 16.

[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 19.

ويصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن روابط وثيقة جمعت بين هؤلاء العلماء الأربعة الذين سبق ذكرهم، وفكرة الحفاظ على لغة القرآن الكريم هي القاسم المشترك بينهم، فكانت عملية النقط للمصحف هي التدبير الأول الذي تبادر إلى ذهن أحدهم ويرجح الأستاذ عبد الرحمن أنه أبو الأسود الدؤلي.[1]

كما يلزم وضع النقط للمصحف التصفح الكامل للقرآن الكريم، ثم إن النقط بالضرورة يدل على الإعراب، وقد استقرى أبو الأسود وأصحابه النص القرآني آية آية لنقطه، فلا يتصور أن يستمروا في هذا العمل الذي يتطلب الانتباه الشديد ولا يتفطنوا إلى شيء؛ وهو استمرار وجود النقطة المشيرة إلى الضمة مع هذا اللفظ الذي يدل على الفاعل، واستمرار النقطة الدالة على الفتحة لهذا اللفظ الآخر الذي يدل على المفعول وهكذا، ثم إن هذين المصطلحين هما بنفسيهما دليلان على قدمهما فقد سماهما أبو الأسود الدؤلي الفاعل والمفعول، وهكذا فقد كان النقط الدال على الحركات والمميز خاصة بين الوظائف النحوية الثلاث الأساسية سببا مباشرا لتأسيس النحو أي العربية في الاصطلاح القديم.[2]

إذا هذه هي الحجة الثانية التي دافع بها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عن أصالة النحو العربي، وعن تصدر أبو الأسود الدؤلي في وضع النحو العربي، وأنه أول وضع النقط للمصحف، وبالتالي ميز الفاعل عن المفعول، وقد أرسى قواعد النحو ووضع اللبنة الأولى لعلم العربية، كما تجدر الإشارة إلى أن النقط أسبق من وضع النحو؛ أولا: لوجود مصاحف منقوطة ترجع إلى القرن الأول الهجري، ثانيا: لأن كل من وضع النقط قرَّاء وقرءوا كلهم على الصحابة الذين اشتهروا بالقراءة على النبي صلى الله عليه وسلم[3].

[1] المرجع نفسه، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 18.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان ، المرجع السابق، ص 18.

هذا فيما يخص الحجج والأدلة التي جعلت الأستاذ عبد الرحمن يقول بأصالة النحو النحو أما فيما يخص آراء بعض الباحثين العرب والمستشرقين سنتناولها كالآتي:

1-3-2 درء شبهة تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو.

نشر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بحثا في مجلة كلية الآداب بالجزائر عام 1965؛ حاول فيه أن يبين أن النحو العربي لم يتأثر بمنطق أرسطو لا في نشأته قبل سيبويه ولا بعد ذلك، إلى غاية ما حصل بالفعل، وأقر بذلك النحاة العرب أنفسهم والمؤرخون في بداية القرن الرابع الهجري، وهذا خلافا لما كان رائجا في الأوساط العلمية من أهل الاختصاص وهم :إبراهيم بيّومي مدكور" في مقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية 1948-1949 عنوانه " منطق أرسطو والنحو العربي"، و"المهدي المخزومي"، في كتابه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، بغداد 1960، أما المستشرقون فأقدم من قال بحصول هذا التأثير في أول نشوئه واحتج له فهو أدالبير مِركْس (Adalbert Merx) في بحث مطول في كتابه باللاتينية عن صناعة النحو عند السريان (Histotoria artis grammaticae apud Syrios)، وإنياس جويدي فيما نشره (Bolletino ltalyano degli Studo Orientali) وتبعهما في ذلك جورج سارطون في موسوعته baltimore طبعة 1927، ثم منذ وقت قريب لشتانستادر(Lichtenstader) في ترجمة "نحو" في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى ثم "هـ.أ جيب" في كتابه عن الأدب العربي "Arabic Littérature"، ودي بور (De Boer) في كتابه عن تاريخ الفلسفة الإسلامية، والأب فلايش في كتابه: المطول في فيلولوجية اللغة العربية وج ب فيشر (j.B. Fisher) مقالا بعنوان: مصدر التقسيم الثلاثي للكلام في النحو السامي (The origin)ا in of tripartite division of speech in semitic grammar.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 37.

واطلع الأستاذ عبد الرحمن على كل هذه الآراء من المستشرقين وما سار على نهجهم من العرب ونخص بالذكر إبراهيم مدكور، مهدي المخزومي وأحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام إذ اقتنع هؤلاء جميعا (ما عدا المستشرق إينو لتمان) باقتباس العرب لتقسيمهم الكلم إلى ثلاثة أقسام من كتب أرسطو، وقد يكتفي بعضهم بالقول بهذا الاقتباس وأقروا بأن هذه المفاهيم الخاصة باللغة التي عالجها أرسطو في كتبه كانت بلا شك رائجة في الأوساط العلمية التي كانت موجودة في "الرها وجندسابور[1]*"، ولا بد أن يكون النحاة العرب مثل الخليل بن أحمد قد عرفوها.[2]

ويذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فكرة الدكتور إبراهيم مدكور في مقالته" منطق أرسطو والنحو العربي" والتي نشرها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وما جاء في أطروحته "أثر الأرجانون*[3] في العالم العربي" إذ يقول:" إن من واضعي النحو السرياني والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم، فيعقوب الرهاوي له شأن في وضع النحو السرياني وهو معروف في الأوساط العربية وحنين بن إسحاق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه بل وصديق للخليل...ومن اليسير أن نتصور أنه تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض

* الرها وجندسابور منطقتان في الشرق الأدنى تتكلمان اللغة السريانية والفارسية وكانت في هذه الأخيرة مدرسة مشهورة تسمى (مدرسة الطب)، وكان من بين أشهر أطبائها "يوحنا بن ماساويه" الذي هاجر إلى بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري وقد جعله الخليفة المأمون في سنة 215هـ رئيسا لبيت الحكمة (مدرسة الترجمة)، وقد تتلمذ على يديه حُنين بن إسحاق مدة من الزمان وتوفي في بغداد سنة 243هـ ومنذ ذلك الوقت فقدت مدرسة الطب بجندسابور أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة السريان النصارى هاجروا إلى الإمبراطورية البغدادية، ينظر: عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)، مكتبة النهضة المصرية، 1940، ص ص 53-57.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 39.

* الأرجانون Organon: (الأداة أو الآلة) باللغة اليونانية وهذا المسمى أطلقه تلامذة أرسطو على المؤلفات المنطقية التي ألفها أستاذهم وظل هذا الأرجانون المنهج الوحيد للتفكير حتى مطالع العصور الحديثة، ينظر: محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1994، ص 9.

القواعد النحوية، خصوصا وهو يعزى إليه بعض كتب الأجرومية اليونانية"، وقال:"لعل في هذا ما يفسر تلك المفاجئة التي أحدثها سيبويه بظهوره في تلك الصورة الجامعة دون أن تصل إلينا سوابق ممهدة له.[1]

ويضيف الأستاذ عبد الرحمن القول إن هذا الذي قاله الدكتور مدكور عن تأثير النحو السرياني ومن خلاله منطق أرسطو في النحو العربي خالفه فيه المستشرقون فإنهم يصرحون أن النحاة العرب اقتبسوا ما اقتبسوه من كتب أرسطو المترجمة إلى السريانية أو العربية لا من النحو اليوناني ولا مما ترجمه يوسف الأهوازي (ت 580م) من " فن الغراماطيقي" لديونسيوس التراقي*(توفي في نهاية القرن الأول بعد الميلاد) هذا الكتاب يحتوي على مفاهيم خاصة بالنحو اليوناني ولا يوجد فيه ما يقابلها في النحو العربي.

وذكر مدكور أن من المترجمين "عبد الله بن المقفع وحنين بن إسحاق واحتج بأنه كان صديقا للخليل بناءً على ما رواه "ابن جُلْجُل" من لقائه معه، كما نسب قضية الإسناد* التي تناولها سيبويه في الكتاب قد عرضها أرسطو بإسهاب في كتابيه المقولات والعبارة"[1].

---

[1]عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 49.

* وتجد في بعض المراجع "ديونسيوس ثراكس ت (160 ق م) صاحب كتاب(فن النحو أو فن الغراماطيقي) ووصف بأنه أول عمل نحوي منظم وُضع في اللغة اليونانية وقد حاكاه يوسف الأهوازي وألف أول عمل نحوي منظم في اللغة السريانية؛ قدم فيه شرحا وتعريفا لكل قسم من أقسام الكلام في اللغة السريانية –على غرار الوارد عند ثراكس (التراقي) والتي وصلت عنده إلى ثمانية أقسام. ينظر: ماري جرجس قليني حنا، الصفة في مباحث النحاة السريان، حوليات آداب عين شمس، المجلد 43، (أكتوبر– ديسمبر)، 2015، ص 183.

* ذكر عبد الرحمن بدوي في كتابه التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين) وتحديدا في الصفحة 58 إذ يقول:"تزل حنين بن إسحاق سنة 211هـ (862 م) ولم يتجاوز السابعة عشر من عمره ميدان الترجمة، حتى أصبح من بعد زعيم المترجمين العرب والسريان، وقد ترجم حتى موته سنة (264هـ 877 م) من كتب جالينوس مائة إلى السريانية ونصفها إلى العربية، وترجم أيضا كتبا عديدة من تأليف أورياسيوس ويوليس الأجانيطي (أوفوليس) ثم من

ثم إن هذه الحجج التي قدمها إبراهيم مدكور أراد من خلالها إثبات تأثر النحو العربي بالنحو السرياني ليرد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بقوله:" وهذا غير صحيح فقد ذكر المؤرخون أن حُنيناً هذا قد ولد في (192هـ) أي بعد وفاة الخليل(ت 175هـ) ووفاة سيبويه (ت 180هـ)، فكيف يمكن أن يلتقي حنين بهما؟ ويُعزى إلى حنين أنه ألَّف –ولم يترجم– كتابًا في النحو على طريقة النحاة اليونانيين ذكره ابن النديم باسم" كتاب أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين" ولم يذكر هذا غير ابن النديم...فهذا الكتاب لم يكن موجودا في زمان الخليل وسيبويه ولم يذكره كمرجع أي نحوي عربي ممن عاصر حنينا أو ممن جاء بعده – ولحنين أيضا كتاب في النقط الخاص بالسريانية، وتوجد نسخة منه في المتحف البريطاني تخت رقم 876/ 45– بل حتى النحاة الذين عُرفوا بتأثرهم بالمنطق لم يأت فيه عنهم أي ذكر" كما أن النحاة العرب في تحليلهم للكلام المفيد إلى مسند ومسند إليه غرضهم الجانب اللغوي الصرف عكس أرسطو الذي كان يهمه الجانب المنطقي منه" .[2]

وهذا ما قاله إبراهيم مدكور سنة 1948 من العرب، أما عن أحدث من تناول هذه القضية فهو المستشرق ج.ب.فيشير المشار إليه في سلسلة المقالات بين 1962–1963 وما كتبه في تأييد ودعم الاقتباس من المنطق اليوناني ولم يأت بجديد إلا أنه ألحَّ كثيرا على أن العرب وخاصة اللغويين منهم قد أعاروا اهتماما كبيرا للإنتاج الفكري اليوناني ومن الحجج التي عرضها المناظرة المشهورة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي النحوي وأبي بشر متى

تأليف سقراط وأرسطو وشروحهما وترجم أيضا الترجمة السبعينية، وبعد حنين قام تلاميذه بترجمة معظم كتب بقراط وجالينوس إلى العربية، وخصوصا أبنه إسحاق الذي ترجم بقية كتب أرسطو وشرَّاحه..

كما تجدر الإشارة أن في كتاب ابن أبي أصبيعة قد ذكره من بين أهم المترجمين في القرن الثالث والمؤلفين أيضا، فقد ألف في الطب والفلسفة، وأنه توفي سنة 260هـ ، ينظر: ابن أبي إصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح، عامر النجار، ج1، دار المعارف، ط1، القاهرة، مصر، 1996، ص ص 39–54.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص ص 40– 41.

[2]عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص ص 40 –41.

المنطقي في سنة 326هـ في بغداد، مع أن هذه الحادثة حصلت –يقول الأستاذ عبد الرحمن– بعد تأثر النحاة بالمنطق أي في نهاية القرن الثالث ولا يمكن أن يستدل بها على اهتمام النحاة العرب بالفكر اليوناني منذ أن بدأوا في النحو كما أن فيشر من الذين كانوا مع فكرة أن التقسيم الثلاثي للكلم عند العرب (اسم، فعل، أداة أو حرف) مشابه للتقسيم الأرسطي.[1]

وينبه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن المستشرق "أدالبير مركس" هو الوحيد الذي أتى بالدليل القاطع بوجود تأثير يوناني في نشأة النحو العربي على خلاف جمهور الباحثين والمؤرخين الذين عرضهم الأستاذ وهذا من خلال مقارنته للاصطلاحات العربية اليونانية ويحاول الأستاذ الرد عليها ودحضها[2].

ويعتمد "مركس" ككثير من علماء المشرقيات في جدله على مقاييس خاصة يظنها تطرد وتستمر في جميع أنحاء المعمورة وجميع عصور التطور الإنساني، والعجيب–يقول الأستاذ عبد الرحمن– أنه عاصر النهضة اللغوية التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي حيث ازدهرت الوجهة التاريخية، ونحن لا ننكر وجود مقاييس عامة يشترك فيها أكثر الناس كالبديهيات العقلية، إنما الذي ننكره هو أن يطبق الظن أو الفرض لا لشيء إلا لأنه مُسلَّم ببداهته في ناحية خاصة، أو في زمان خاص أو مذهب من المذاهب ..ونجد عنده مثل هذه المصادرات Postulats التي لا يسلمها له الخصم [3]، وكما نقل الحاجظ عن أبي إسحاق:" إذا أردت أن تعرف مقدار الرجل العالم فكن عالما بصفة متعلم ثم اسأله سؤال من يطمع في

[1] المرجع نفسه، ص 41.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 47.

1 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 47.

بلوغ حاجته منه"[1] وهذا منهج الأستاذ عبد الرحمن إذ وقف على ما قاله "مركس" كان عالما بصفة متعلم ليبلغ حاجته وهي إبطال شبهة تأثر النحو العربي بالمنطق والفلسفة اليونانية.[2]

إن أهم ما حاول "مركس" أن يبرهن أنه من أصل يوناني ينحصر فيما يلي:

- تقسيم الكلام إلى أقسام ثلاثة.
- مفهوم الأحداث.
- مفهوم الصرف والتصريف.
- مفهوم الخبر وعدم وجود مفهوم ما يسميه Sujet عند العرب لعدم وجوده عند أرسطو.
- معنى الجنس لأن هذه الكلمة من أصل يوناني.
- ألقاب الأحكام الإعرابية كم رفع ونصب وجر.
- معنى الظرف.
- معنى الإعراب مقابلا لمعنى السليقة.
- معنى الحال.
- التمييز بين الأزمنة الثلاثة.

و"يقول مركس" عن أقسام الكلام:" أنها كانت سبعة عند نحاة اليونان ولكن العرب ولسوء الحظ لم يعرفوها، فقد اقتصروا على تمييز ثلاثة أقسام للكلام وهذا الذي نشاهده كاف لترك الفكرة المتبادرة إلى الذهن أن نحاة السريان كانوا أساتذة العرب، ويقسم سيبويه الكلام إلى ثلاثة أقسام الاسم والفعل والحرف فهاهو ذا تقسيم أرسطو الذي حسّنه فيما بعد نحاة اليونان".[3]

[1] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج6، ط2، 1967، القاهرة، ص 35.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 48.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، المرجع السابق، ص ص 52_53.

نلاحظ من خلال هذا القول أن "مركس" يؤكد أن سيبويه قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام متأثرا بتقسيم أرسطو له، ويشير إلى أن أقسام الكلام عند أرسطو سبعة والعرب لم يعرفوها وهذا كلام يستحق التحري؛ وسنرى كيف يرد الأستاذ عبد الرحمن الحاج عن هذه الأقاويل.

وقد تكلم أرسطو عن أقسام الكلام وذلك في كتابه الملقب" بارى أرمينياس" أو "العبارة" وفي كتابي "الشعر" و"الخطابة" أما الأول فيه مايلي: "فالاسم هو لفظة دالة بتواطؤ مجردة من الزمان وليس واحد من أجزائه دالا على انفراده"[1]، وأما الكلمة فهي تدل مع ما تدل عليه على زمان، وليس واحد من أجزائه يدل على انفراده وهي أبدا دليل ما يقال على غيره"، وليس لأرسطو في هذا أي التفات إلى أقسام الكلام غير أن هذا الذي قاله، فلم يذكر فيه إلا الاسم والكلمة ويسميهما: Rhéma و Onoma، وإلا أنه قال بعد أن تكلم عن "القول": فما سائر الأقاويل غير ما قصدنا منها فنحن تاركوها إذ كان النظر فيها أولى بالنظر في الخطب أو الشعر، وقال أيضا :" وأما سائر الأقاويل كلها فقد تصير واحدا برباط يربطها"[2].

ولا بد أن نبين هاهنا حقيقة فاتت "مركس" وأكثر من عنيَ بهذا الموضوع وهي هذه:" لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقاَ، فأما كتاب "باري أرمينياس" فقد حدد فيه أرسطو ما يسميه بالأقاويل، فاقتصر منها أجزاء الحكم Jugement وهما: Onoma و Rhéma ويقابلها في ترجمة حنين بن إسحاق الاسم والكلمة.[3]

وقد يظهر هذا الظن مقنعا لغير المتمعنين لما ورد في كتاب أرسطو(الشعر) وتقسيمه للكلام إذ إنه تطرق لأقسام الكلام كما تصورناها، زيادة على الاسم والكلمة، قال:" عماد

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان،المرجع السابق، ص 49.

[2] المرجع نفسه، ص 49.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 53.

المقولة بأسرها وأجزاء الأسطُقُسَّات* هي هذه: الاقتضاب، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، التصريف، القول"، فإذا استثنينا الاقتضاب وهو المقطع (Syllabe) والتصريف ومعناه التصرف الإعرابي والقول وهو الجملة بقي الاسم والكلمة والرباط والفاصلة فهذه أربعة أقسام لا ثلاثة.[1]

بعد هذا العرض لأدلة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يمكننا استخلاص أن نسبة التقسيم الثلاثي إلى أرسطو قد انفرد بها رجل واحد ثم نقل ذلك رجل آخر من النحاة الرومان، ولا نعلم أن أحدا نقل ما كتبه هذان الرجلان إلى العربية أو إلى السريانية، ومهما كان فإن هذا القول هو مجرد تأويل، ثم إن الفارابي لم ينسب إلى أرسطو بالذات التقسيم الثلاثي إن كان يميل إلى علاج الأجزاء غير الاسم والكلمة على أنها قسم واحد ويسميها الأدوات في كل مناسبة ويذكر كثيرا التسمية العربية "حروف المعاني" ولا شك في أنه كان متأثرا في ذلك بما سمعه من ابن السراج إذ نستبعد أن يكون ذلك من كلام ديونسيوس التراقي، وكان قد اشتهر تقسيم النحاة العرب القدامى للكلام في عهد الفارابي منذ زمن طويل في جميع الأوساط العلمية العربية.[2]

هذا فيما يخص ما جاء على لسان أرسطو وقد علمنا أنه قسم الكلام إلى أربعة أقسام لا إلى ثلاثة كما زعموا وهنا الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يستبعد أن يكون قد تأثر نحاتنا العرب بمنطق أرسطو في هذا التقسيم، إذ إن سيبويه قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام؛ يقول :" فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" ، ثم قال:" فلاسم رجل وفرس وحائط

* هو لفظ يوناني بمعنى الأصل، وتسمى العناصر الأربعة التي هي الماء والأرض والهواء والنار أسطقسات؛ لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن، الشريف الجرجاني (علي بن محمد السيد)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص 23.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص ص 49– 50.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 57.

وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولا يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع"[1].

فالفعل عند النحاة العرب كما يقول الأستاذ عبد الرحمن يدل دائما على حدث أو هو بصدد الحدوث الآن، أو سيحدث مستقبلا (إيجابا وسلبا، واجبا وغير واجب)، وهم أول من حدد معناه بربطه صراحة بكل حادث أثناء حدوثه، لأن هذا يدل أولا على عدم اكتراثهم تماما بالفعل كعنصر من عنصري الحكم المنطقي كما جاء عند أرسطو، وثانيا على تفطنهم أن الفعل دليل على ما يقع من الوقائع أثناء وقوعها، وأهم شيء –يقول الأستاذ عبد الرحمن– ليس هو الزمان فقط بل الحدث وحدوثه في زمان معين –"محصل" ذكره الفارابي تأثرا بالنحاة العرب_، بل كان همه كفيلسوف الجوهر أن يحدد هذا العنصر على أنه ما يحمل على الجوهر فما يسميه كلمة ليس فعلا حقيقيا عنده، إذ لا ينظر إليه من حيث هو حدث فقط بل من حيث هو مقول على الجوهر...فهذا لا نشم فيه يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– أي رائحة له مما جاء في تحديد سيبويه.[2]

نلاحظ من خلال المقارنة التي أجراها الأستاذ عبد الرحمن لتعريف سيبويه للكلم في العربية –وليس الكلام العربي لأنه قد غلط من قال (الكلام اسم فعل حرف) فشوهوا كلام سيبويه باستبدال لفظة (كلم) بلفظة (كلام)–[3] وخاصة تعريفه للفعل على أنه يدل على حادث أثناء حدوثه لا على أنه عنصر من عنصري الحكم المنطقي كما جاء عند أرسطو فاهتمام النحاة نحوي واهتمام أرسطو منطقي وهذا هو جوهر الاختلاف.

هذا ولم يحدد سيبويه الاسم عند تعريفه للفعل والحرف بل مثل له كما هو معروف إلا أنه قال بأن الأسماء هي المحدث عنها، فحدد الاسم بوقوعه في موقع خاص في الحديث لا

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، ط3، القاهرة، مصر، 1288، ص 12.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 65.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 64، (انظر الهامش).

يقع فيه أي قسم آخر من الكلم أبدا، ولو استعار العرب هذا من أرسطو لقال سيبويه: الاسم ما لا يدل على زمان كما فعل أول نحوي تأثر بالمنطق الأرسطي وهو ابن السراج.[1]

هذا وقد قال بعض المستشرقين –وتبعهم في ذلك بعض المحدثين من العرب– أن تأثر العرب بالفلسفة اليونانية بدأ قبل ترجمة كتب اليونان إلى العربية وحصل ذلك بانتشار أفكار اليونان في الشرق الأوسط بفضل ما وجد فيه من بؤرة إشعاع ثقافي وذلك بالقرب من الكوفة وهي الرها ونصيبين وحران وجندسابور[2]، ولا يشك هؤلاء أن المسلمين اطلعوا في هذه الأماكن على ما تركه اليونان ولا دليل لهم على ذلك، فحتى ولو حصل ذلك –وليس ببعيد عقلا–على رأي الأستاذ عبد الرحمن– فما الذي يدل أو يشير فقط أن واضعي النحو ومن جاء بعدهم هم أيضا ممن تأثر بالفلسفة اليونانية في هذه المدن أو أخذوا ممن تأثر بالفلسفة في أماكنها؟ والجواب: لو حصل هذا التأثير فعلا في أوائل القرن الثاني الهجري أي قبل زمان ابن المقفع لأنه يستحيل أن يصل إلينا النحو العربي بهذا المستوى العالي جدا الذي يتصف به سيبويه...ثم لو ذكر الخليل أو أحد زملائه أو تلميذه سيبويه مصدر اقتباسهم لما قالوه من أقسام الكلم ومفهوم العامل ولو مرة واحدة ..ولو كانت أمثلة سيبويه الكثير منها أو بعضها مقتبسة من تلخيص ابن المقفع مثل ما جاء في تلخيصه لكتاب (قاطوغريوس) عند كلام أرسطو عن الجوهر ويسميه العين...ولو جاء في كتاب سيبويه أكثر المصطلحات المنطقية التي تخص أقسام الكلام مع أنه لم يجيء فيه إلا كلمة "اسم"...وأخيرا لو كان مصطلح المسند إليه الذي ذكره ابن المقفع* خاصا بالمنطق اليوناني وليس الأمر كذلك.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 66.

[2] عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 53.

* للاستفادة أكثر مما ذكره الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الشأن ينظر إلى كتابه منطق العرب في علوم اللسان الصفحات: 58–62، إذ عنوانه بـ:أقدم ترجمة عربية لكتب أرسطو المنطقية وهو ما نقله بتصرف عبد الله بن المقفع.وأيضا؛ ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، المرجع السابق، ص43 وما بعدها.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 67–68.

وخلاصة لما تناولته في هذا العنصر أقول إن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد تتبع وبدقة كل شبهة من شبهات تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو وقد ذكر آراء المستشرقين أمثال "أدالبير مركس" و" أنياس جويدي" وغيرهم من سبق ذكرهم، وأيضا قد عرض آراء بعض الباحثين العرب أمثال إبراهيم مدكور ومهدي المخزومي، وردَّ على كل واحد من هؤلاء بالحجج والبراهين، بعضها مثبت تاريخيا وبعضها غير مثبت، ولكنها منطقية لأبعد الحدود، أو كما قال الأستاذ:" مجتهدين في ذلك، غير مبتغين إلا وجوه الصحة"[1]، ولم نذكر في هذا العنصر كل الآراء بل ذكرنا أحدا من العرب المحدثين "إبراهيم مدكور" وآخر من المستشرقين وهو " أدالبير مركس" كونه أقدم من تناول هذه القضية وأفاض فيها.[2]

1-3-3 متى حصل تأثير المنطق على النحو العربي؟

أول من استعمل ألفاظ أرسطو من النحاة هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني* الذي توفي سنة 384 هـ، كما أورد ابن الأنباري (ت 577هـ) في كتابه "نزهة الألباء" إذ يقول:" وكان يمزج كلامه بالمنطق حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا شيء منه، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء"[3]- قال أبو علي هذا الكلام لأن نحو أبي الحسن الرماني لم يعد مفهوما لاختلاطه بالمنطق- فنظرة خاطفة تكفي

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص47.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 37 وما بعدها/ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 47 وما بعدها.

* أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله المعروف بالرمّاني (384-296 هـ)، كان من كبار النحويين، أخذ عن ابن السراج، وأبي بكر بن دريد، وأخذ عنه أبو القاسم بن عبد الله الدقيقي، وكان متفننا في علوم النحو واللغة والفقه والكلام على مذهب المعتزلة، ينظر: الأنباري(أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 267.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لتؤكد لنا معرفة الرماني وهي قليلة بالمنطق كأكثر معاصريه، ومع ذلك فإنه لا يستعمل إلا القليل من المصطلحات المنطقية؛ قال:" الذي يصح به فائدة الكلام: جملة موضوع ومحمول" قال هذا ولم إلى استعمال هذين المصطلحين إلا قليلا.[1]

ومن أهم المظاهر التي تبين تأثر ابن الرماني بالمنطق ما لاحظه بعض الدارسين لشرحه كتاب سيبويه تمثلت في [2]:

- ترديد المصطلحات المنطقية.
- العناية بالحدود والتقسيمات.
- افتراض الاعتراض والانفصال عنه.
- العناية بالتأويل.
- العناية بالأصول العامة.
- التنظير بأمور خارجة عن النحو.
- العناية بالمراتب.
- العناية بالفروق.

تجدر الإشارة إلى أن من حقق شرح كتاب سيبويه للرماني قد أقر بأن هذا الأخير قد تأثر بالمنطق وأثبت ذلك في مظاهر عدة سبق ذكرها، أما الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 77.

[2] الرماني، شرح كتاب سيبويه، تح: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، م.ع. السعودية،1998، ص ص 44-52.

فأقر بأن الرماني لم يستعمل المصطلحات المنطقية غير التي ذكرناها والهدف من قول الأستاذ غير واضح ولعلنا نجد الإجابة في المباحث الآتية.

ثم يعرض الأستاذ عبد الرحمن قول الأخفش تلميذ سيبويه إذ قال:" أما المحال فهو ما يصح له معنى ولا يجوز أن نقول فيه صدق ولا كذب لأنه ليس له معنى، ألا ترى أنك إذا قلت: أتيتك غدا لم يكن للكلام معنى تقول فيه صدق وكذب"، فإذا صح ما نسب من هذا إلى أبي الحسن الأخفش–يقول الأستاذ عبد الرحمن– فيكون إذا هو أول من أطلع على شيء من منطق أرسطو من النحاة العرب.[1]

ثم يضيف الأستاذ عبد الرحمن بقوله: "ولا نستغرب ذلك لأنه قد تم في زمانه نقل كتب المنطق، فقد جاء في مخطوطة ابن المقفع بعض الأسماء لمن ترجم الكتب المنطقية الثلاثة بعده، فجاء كما قلنا في آخر نسخ المخطاطة اسم أبي نوح النصراني، ونحن نعلم أنه عاش في زمان هارون الرشيد، ثم قام بترجمة أخرى "سَلْم الحراني" صاحب بيت الحكمة فهذا حصل إذن في زمن المأمون أو بعده بقليل فيمكن للأخفش تلميذ سيبويه أن يطلع على كل هذه التراجم".[2]

ومن هنا يمكننا استخلاص ما استنتجه الأستاذ عبد الرحمن إذ عرض أدلة تاريخية تفيد بأن الأخفش تلميذ سيبويه أول من أطلع على شيء من منطق أرسطو من النحاة العرب،

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 77.

[2] المرجع نفسه، ص 77.

وقد حصل ذلك بلا شك منذ وفاة سيبويه كما لاحظناه، بل في بداية ازدهار الفلسفة عند العرب فقد كان تحديدا في زمن الخليفة العباسي المعتضد بالله (279–289هـ)[1] .

ويذكر الأستاذ عبد الرحمن أن من النحاة الذين تتلمذوا على بعض أساتذة المنطق في بغداد وهو: أبو بكر بن السراج * تلميذ المبرد؛ فصاحب الفهرست روى في ذلك عن ابن درستويه قال:" رأيت ابن السراج يوما قد حضر عند الزجاج مسلّما عليه بعد موت المبرد...فسأل رجل الزجاج عن مسألة فقال لابن السراج: أجبه يا أبا بكر، فأجابه فأخطأ، فانتهزه الزجاج...فقال ابن السراج: قد..أدبتني وأنا تارك ما درست منذ قرأت الكتاب –يعني كتاب سيبويه– لأني تشاغلت عنه بالمنطق والموسيقى والآن أنا أعاود فعاود وصنّف، وانتهت إليه الرياسة بعد موت الزجاج..."[2]

ثم يكمل الأستاذ عبد الرحمن شرحه عن خطورة الاتصال العلمي المباشر بين أساتذة المنطق وأبرز تلاميذ المبرد، إذ سيتتلمذ على ابن السراج علماء كبار أمثال أبي علي الفارسي والزجاجي والرماني، وكان ابن السراج أول من أدخل شيئا لا بأس به من منطق أرسطو في النحو العربي، ثم يضيف الأستاذ عبد الرحمن القول:" ولم يحضر ابن السراج وحده في هذه الحلقات التي كان يشرف عليها المناطقة؛ فقد ذكر اسم ابن كيسان(ت299هـ)

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 78.

* ابن السراج ذكره ابن النديم في الفهرست نقلا عن ابن درستويه قائلا:" كان من أحدث غلمان المبرد سنا مع ذكائه وفطنته، وكان المبرد يميل إليه ويقربه ويشرح له، ويجتمع معه في الخلوات والدعوات..ينظر: ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 92.

[2] المصدر نفسه،، ص92.

وهو من زملاء ابن السراج، وكان هذا هو عصر التلاقي المباشر بين مدرستي البصرة والكوفة من جهة، وبين الأفكار اليونانية وما أنتجه الفكر العربي من جهة أخرى.[1]

هذا فيما يخص زمان تأثير المنطق في النحو العربي (نهاية القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع)؛ فقد أطال الأستاذ عبد الرحمن الشرح في هذه القضية وأثبت أقواله بالحجج والبراهين الدامغة التي تبرئ النحو العربي في زمن سيبويه والخليل من أي تأثر بمنطق أرسطو وأثبت الأستاذ بأن أول من جلب المنطق إلى النحو العربي هو النحوي الأخفش تلميذ سيبويه، لينتقل إلى صاحب (الأصول في النحو) ابن السراج، ولم يقع في هذا الزمن تأثر النحو بالمنطق فقط بل أيضا كان عصر تلاقي مدرسة البصرة والكوفة.

تجدر الإشارة إلى أن من المظاهر البارزة في تأثر ابن السراج بالمنطق؛ تقسيمه للكلام على خلاف ما جاء به سيبويه؛ فهذا الأخير يكثر من الأبواب للموضوع الواحد حتى يستوفي كل أقسامه وفروعه، وقد سار المبرد على أثره في تفريع أبواب الموضوع الواحد في كتابه المقتضب، وكان سيبويه يعرض أبوابه بأسلوب فطري يدل على بساطة في عرض الأفكار المتشعبة من الموضوع الواحد..مثال ذلك: " هذا باب علم ما الكلم من العربية، فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم رجل وفرس وحائط...إلى نهاية القول, وهذا ما يسمى بالقسمة العقلية [2].

وأول من برع في هذا المجال وأظهر فيه مهارة فائقة هو أبو بكر بن السراج في كتابه (الأصول في النحو) الذي صنفه وبوبه علي نظام عقلي لم يسبق إليه...وقد كان مستوعبا معاني النحو استيعابا واسعا، وكان ذا عقلية راجحة جعلت هذه المعاني تتسق في نظم متجانسة متوائمة من الأصول والفروع، ومن الإجمال إلى التفصيل يعرضها بنظام يتفرد به

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 80.

[2] كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص ص70-71.

ودليل على ما نقول طريقة تقسيمه للأفعال والأسماء وغيرها من الأبواب النحوية إلى أقسام أخذ من سابقيه (سيبويه والمبرد)، وتأثر بشيء من المنطق؛ مثال ذلك في ذكر الفعل يقول:" الفعل ينقسم قسمين: فمنه حقيقي، ومنه غير حقيقي، والحقيقي ينقسم إلى قسمين: أحدهما أن يكون الفعل لا يتعدى الفاعل إلى من سواه ولا يكون فيه دليل على مفعول نحو قمت وقعدت، والآخر أن يكون فعلا واصلا إلى اسم بعد اسم الفاعل، والفعل الواصل على ضربين: فضرب واصل مؤثر نحو: ضربت زيدا وقتلت بكرا، والضرب الآخر واصل إلى اسم فقط، غير مؤثر نحو: ذكرت زيدا ومدحت عمرا، وهجرت بكرا فإن هذه تتعدى إلى الحي والميت والشاهد والغائب، وإن كنت إنما تمدح الذات وتذمها إلا أنها غير مؤثرة.." [1]، وهنا تأثير المنطق واضح وجلي.

وخلاصة لهذا الجدل الكبير وهذه الآراء الكثيرة وهذه الحجج التاريخية العميقة –التي لم نعرضها كلها– يستنتج الأستاذ عبد الرحمن أين أفاد تداخل المنطق الأرسطي في النحو العربي وأين أفسد إذ يقول: "فإن كان النحو الأرسطي قد أفاد إلى حد ما في ميدان التعليم كالتوضيح لمفاهيم النحو البسيطة بالتصنيف وصارت أقرب إلى الإفهام من حيث ترابط بعضها ببعض– هذا فيما يخص الجانب الإيجابي–، أما عن سلبيات هذا التأثر فيكمل قوله:" فأخطر ما حدث هو طغيان هذا المنطق على النحو وتغطيته لما هو أعمق منه كمناهج الاستدلال ووسائل الاكتشاف العلمي الخاصة بالعرب، وغزا بالتالي الفكر العربي بحيث صار الجدال العقيم في محتوى الحدود هو أهم شيء ...وبسيطرة منطق أرسطو على الدراسات الخاصة باللغة والعلوم الإسلامية عامة، بل وتفرده بكل تفكير وذلك بإقصائه لكل

[1] كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، المرجع السابق، ص 72، وينظر: أبو بكر ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ج1، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان، 1996، ص 73–74.

منطق آخر وكل منهجية علمية أخرى، فاختفى التفكير العربي الأصيل المبدع إلى عصرنا الحالي، وكان هذا من أسباب الانحطاط الحضاري عند المسلمين عامة.[1]

ثم يضيف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بعد ذكره سبب انحطاط الأمة الإسلامية ألا وهو غزو المنطق الأرسطي للفكر اللغوي العربي عموما وللنحو خصوصا فقد شرح في الهامش أنه لم يكن السبب الوحيد الذي أضعف الأمة العربية الإسلامية، فقد كانت هناك أحداث أثرت في سلوك الأفراد والجماعات فجعلت الأمة تتأخر في جميع الميادين ولا سيما في ميدان الاجتهاد الفكري.

1-3-4- تأثير النحو العربي على النحو الغربي.

لم يكن العرب وحدهم من تأثر بالمنطق الأرسطي (ابتداءً من نهاية القرن الثالث الهجري) في النحو العربي وسائر علوم العربية من بلاغة ونقد وغيرها، بل قضية التأثير والتأثر تحصيل حاصل بين كل الشعوب وكل الأزمنة فهاهو الأستاذ عبد الرحمن ينقل لنا عمن تأثر بالنحو العربي في أوروبا في قرون ماضية ليست ببعيدة عن زماننا هذا وأوائل الأوروبيين الذين تأثروا بالنحو العربي مباشرة –لا عن طريق الفلسفة– نذكر اللغوي الاسباني (Sanctius)* [2]، ويعرف بأنه كان واسع الاطلاع ولا سيما فيما يخص النحو العربي.

وفي كتابه الأساسي المسمى بـ(Minerva) * في نحو اللغة اللاتينية قد أحاط حقيقة بكل المفاهيم الأساسية التي اطلع عليها في كتب النحو التي راجت في ذلك الزمان ولا سيما

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 89.

* اسمه الكامل: F.Sanchez el-Brocense وهو غير الفيلسوف. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص275,(الهامش).

* نشر لأول مرة في عام 1887، وترجم إلى الاسبانية والفرنسية في السنتين الأخيرتين.، المرجع نفسه، الصفحة نفسها،(الهامش).

التقسيم الثلاثي للكلم، وتبنى هذا التقسيم من النحاة الفرنسيين "Biffier" و"Dangeau" هذا ولم يشر سنكتيوس ولا مرة إلى التقسيم الثلاثي هو لأرسطو كما فعله الكثيرون في زماننا.[1]

ولم يكن نحاتنا العرب في نهاية القرن الثالث الهجري من تأثر بالمنطق الأرسطي؛ فقد تأثر أيضا بعض النحويين الغربيين ومنهم "سنكتيوس" إذ إنه أول من أدخل مفهوم الإضمار في النحو اللاتيني وسماه بالEllipse، وحاول مثل نحاة العرب أن يعلل الكثير من العبارات المختصرة بتقدير ما هو محذوف، وبرع في ذلك وهو لا يتعسف أبدا لأن الإضمار هو نتيجة لعملية خاصة وهي حمل العبارات بعضها على بعض ليكتشف البنية التي تجمعها إن وجدت، وقد تخرج بعض العبارات عن نظائرها ولا تطرد بسبب الحذوف لأسباب كثيرة، كالاستخفاف وطرد الباب ورفع اللبس وغير ذلك مما ذكره العرب في كتبهم، وأخذ ذلك نحاة بورويال إلا أنهم تعسفوا إذ كانوا قد قرروا أن تكون جميع العبارات أيا كانت على نمط واحد ولو اقتضى ذلك التقدير غير المعقول، كل ذلك باسم المنطق والعقل، وتأثر أيضا بهذا المذهب النحوي الفرنسي المشهور "Dumarsais" الذي حرر الكثير من المقالات في الموسوعة في القرن الثامن عشر.[2]

وتعتبر سنكتيوس من النحاة بالضرورة مفهوم القرينة المقالية والحالية، إذ لا يمكن –كما صرح بذلك كل النحاة– أن يحدث أي حذف وأي إضمار إلا ومعه سياق أو حال يرتفع به اللبس(Situation of contex) .[3]

وقد بدأت الدراسات الخاصة باللغة العربية في الجامعات الأوروبية في القرن السادس عشر، فترجمت بعض المختصرات النحوية كالأجرومية والكافية لابن الحاجب وغيرهما، واستمر ذلك حتى ظهر أحد كبار المستشرقين الذين أنتجوا كثيرا من الدراسات في اللغة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 276.

[2] المرجع نفسه، ص 276.

[3] المرجع نفسه، ص 276.

العربية وهو "Selvestre de Sacy" الفرنسي الذي عاش في بداية القرن التاسع عشر، واشتهر هذا الرجل الفذ بحيث نزح الكثير من الطلبة من الألمان ومن خارج فرنسا وكان معه عالم آخر اسمه Chézy، تتلمذ عليهما جماعة ممن صاروا بعدهما من عمالقة التفكير اللغوي الأوروبي، ونذكر منهم فون هومبولت Von Humbolt، والأخوين جريم Grimm، وفريديريك شلجل، وهم من مؤسسي اللسانيات الأوروبية.[1]

وقد أطلَع دي ساسي هؤلاء على الكثير من المفاهيم التي لم تكن معروفة، وذلك مثل المادة الأصلية التي سموها بجذر الكلمة، فهذا كان مجهولا تماما عنده علماء الغرب قبل القرن التاسع عشر، وصرح بعضهم أنهم وجدوا هذا المفهوم عند علماء الهنود القدامى ويكون هذا صحيحا بالنسبة إلى بعضهم إلا أن الجذر قد عرف قبل أن تترجم وتنشر الكتب الهندية (في وسط القرن 19 وبعده).[2]

ثم يكمل الأستاذ عبد الرحمن قوله: "وقد اشتهر عند هؤلاء العلماء مفهوم الجذر فراحوا يحللون الكلم إلى جذور وإلى (affixes) وعرفوا أيضا مثال الكلمة (وزنها وبناءها)، ولم ينتبهوا إلى أهميته العظيمة، كما لم يتفطنوا إلى أنه ناتج عن تحليل رياضي يحتاج إلى أن تجرد الوحدات ويرمز إليها برموز مثل (ف/ع/ل) في العربية، ثم أضف إلى هذا أن التحليل عندهم منذ أقدم الأزمنة هو تحليل تقطيعي فقط؛ فيجب أن يفضي إلى قطع صوتية محسوسة لا مجردة، وإلى الآن تجهل اللسانيات الغربية ما "للمثال" العربي من قيمة ابستمولوجية عظيمة كما يجهل الكثير من معاصرينا أن المثال يوجد في مستوى الجملة وليس خاصا بالكلم".[3]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 277.

[2] المرجع نفسه، ص 277.

[3] المرجع نفسه، ص 277.

وأما عن تأثير اللسانيات الغربية في التفكير العلمي العربي فقد تحدث الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عن هذه القضية وعن أسباب ظهور هذا العلم الجديد عند العرب إذ كانت ذهاب الوفود الطلابية إلى الخارج للدراسة، أو باتصال مباشر؛ من بين الأسباب، إذ انبهر بعض هؤلاء الباحثين العرب بهذه النظريات التي كانت بدايتها بالبنوية (Structuralisme)، ثم ظهور النحو التوليدي التحويلي، ثم ظهرت مذاهب مختلفة منها الوظيفية الحديثة وزعيمها سيمون ديك "Simon Dick " الهولندي[1] .

ولا ينتقد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هؤلاء المتأثرين أو المنبهرين باللسانيات الغربية واقتباسهم منها فهذا جائز ومقبول ولكن الأمر المرفوض هو أن هؤلاء انسلخوا عن تراثهم وما يحمله من ثروة فكرية تتميز بالمعيارية والتعليل ونقضهم إياه، واستبدال ذلك بالوصفية وتطبيقها على اللغة العربية دون تمحيص أو نظر سابق وهذا يشكل خطورة على العربية وما تمتاز به، خاصة بعد إبطال الكثير منهم كل ما وصل إلينا من أسلافنا حتى من المبدعين منهم بل ولا سيما من المبدعين وهنا الأستاذ يقصد بالمبدعين" الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه، المبرد، وغيرهم...[2]

وختاما لكل ما ذكرناه نقول: إن ما حصل من تأثير متبادل واسع في ميدان النظريات اللغوية ومناهجها التحليلية، بين الحضارتين العربية والغربية منذ زمان، تحتاج إلى أن يتفرغ لها، ثم إن الكثير من المفاهيم العربية اللغوية تحتاج إلى أن ينظر فيها بجد وبموضوعية ولا سيما تلك التي لا تزال غامضة عند الكثير من اللغويين ويأمل الأستاذ أن تتضافر الجهود للحصول على تجديد كامل للسانيات العربية .[3]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 279.

[2] المرجع نفسه، ص 279.

[3] المرجع نفسه، ص 280.

2- قضايا الترجمة والمصطلح عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

إن اللسانيات المعاصرة قد بلغت حد العلم المتكامل رغم قصر المسار الزمني الذي قطعته والذي يجمع روادها على الانطلاق به من دروس فرديناند ديسوسير، و"أول مظهر من مظاهر اكتمال العلم إفرازه لثبته الاصطلاحي الخاص به، والبحوث اللسانية ما انفكت تولد المصطلحات الفنية، بعضها بالوضع، وبعضها بالاقتباس والمجاز، حتى تسنى تأسيس القواميس اللسانية المختصة "[1]، وقبل أن نتعمق في موضوع اللسانيات العربية حري بنا أن نعرف ما هو علم المصطلح؟ وما علاقته بعلم اللسانيات؟

2-1 المصطلح بين التراث والتعريب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

يعيش العالم العربي ابتداءً من الخمسينات وخصوصا بعد الستينات، وضعا معرفيا تلعب فيه اللسانيات دورا رئيسيا، إذ هي مؤثرة ومتأثرة في جل حقول المعارف الإنسانية وحتى في القطاعات العلمية الدقيقة من بيولوجيا وإعلاميات ورياضيات، وهذا الوضع المعرفي الجديد صاحبه تضخم ووفرة في المصطلحات المستجدة في اللغات الغربية وكان لزاما على اللغويين العرب التحرك لسد هذا التضخم، إلا أن هذا التحرك اتسم بالبطء، ولم يوفق هؤلاء في حل هذا الإشكال، ولم ترق الجهود الفردية المتفرقة إلى مستوى التحدي، أي مسايرة الجهود العالمية المبذولة.[2]

[1] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 13.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية "نماذج تركيبية ودلالية"، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 401.

2-1-1تعريف المصطلح: "Terminologie"

يعرف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح علم المصطلحات بأنه "دراسة الألفاظ الخاصة بالعلوم والتقنيات بتجمعيها ورصدها وتحليلها، ووضع بعضها عند الاقتضاء"[1]، ويذهب علماء المصطلح إلى القول بأنه –المصطلح– "يشكل نصف فهم علم ما، وهو عماد العلم ودعاماته اللفظية والمعنى المخصص والاتفاق، القارن بين تخصيص اللفظ والنظام التصوري أو المفهومي، فهو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى"[2].

واعتبر علم المصطلح عند الغربيين جزءا من علم اللغة(اللسانيات) وتهافتوا عليه واعتنوا به بعد ازدهار الدراسات اللسانية على غرار علم المفردات "Lexicologie"وعلم صناعة المعاجم "Lexicographie"، لكنه استقل من اللسانيات لشدة احتياج الحكومات والهيئات الرسمية إلى تنظيم مجال المصطلحات، والتدخل لتحقيق التوازن السياسي الثقافي بين الانجليزية الطاغية على غيرها ولغتها، وازدهر هذا العلم في النصف الثاني من القرن العشرين في البلدان الغربية بصفة مذهلة[3].

ويركز الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على أهمية علم المصطلح ويعرض ما قامت به الحكومات الغربية في مجال توحيد التسميات التي تطلق على ما تنتجه المصانع من منتجات معينة كالآلات والأجهزة وأدوات القطع وقطع الغيار؛ وهو اهتمام تجاري اقتصادي وهذا بهدف حفظ هذه التسميات من الخلط بينها، فتكونت في جل هذه البلدان دواوين خاصة لتوحيد التسميات "Normalisation"؛ وأقدمها المؤسسة البريطانية للتنميط "British Standards Institution" التي تأسست في 1901، تحت اسم "Engeneering

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 374.

[2] ينظر:عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق، ص 76.

[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

"Standards Comitee"[1]، وتلتها الإيزو "ISO" وغيرها من المؤسسات التي ذكرها الأستاذ في هذا الصدد.[2]

ولِعلم المصطلح أيضا أثر كبير في بناء الخطاب اللساني، إذ يتشارك عالم اللسانيات مع عالم المصطلح في دراسته لينتجا الهوية اللسانية له، لأن هذا الأخير عبارة عن استعمال لغوي في مقام تبليغي محدد يرتبط بعلم أو بمعرفة مخصوصة[3].

2-1-2مصطلحات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

كان للأستاذ عبد الرحمن جهود كبيرة في مجال المصطلحات العلمية تتمثل في:

أ- **إحياء المصطلحات التراثية.**

من خلال كتبه ومحاضراته نجد أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد بعث العديد من المصطلحات التراثية، حيث يؤكد أن التراث العربي غني بالمصطلحات يغطي كل مستجد من الغرب سواء كان مسميات أو مصطلحات علمية فكتاب الخليل وسيبويه وبعض عباقرة اللغة العربية من أمثال الرضي الاستربادي والزمخشري هذه الكتب لو قرأناها بتمعن لمدتنا بما نحتاجه من علم ومن مصطلحات، ومن أمثلة المصطلحات التي أحياها:

_ "ما لا نهاية أو عدم العلامة **"La marque des zéro"** وهذا المفهوم "اللانهائي" مفهوم عربي مثل **الابتداء** عند سيبويه هو عدم العلامة؛ وهو مفهوم لساني حديث علِمه

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 374

[2] المرجع نفسه، ص 375.

[3] بشير إبرير، علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث –المنجز اللساني للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مثالا_، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 13، العدد 1، الجزائر، 2017، ص 138.

العبقري سيبويه؛ مثال رفع المبتدأ بالابتداء أي عدم العلامة مثال [1]"زيدٌ قائمٌ" رفع المبتدأ بالابتداء أو عدم العلامة، وعملية الزيادة لها عكسها.[2]

_ "**الرجوع إلى الأصل**" عبارة عربية قديمة وعبارة العلامة العاملية، وهي قانون التراكيب المواضع، وهذه كلها مفاهيم رياضية موجودة عند الخليل وسيبويه.[3]

–"**التمثيل**" شيء عميق عند سيبويه والخليل مثال: الجملة العربية يمكن أن نرمز إليها أي نجعلها schéma كالعامل مثلا نرمز له ب "ع" "ع م 1" عامل معنى أول "couple ordonné" وهذا ما يفهمه الحاسوب والصيغة موجودة في كل اللغات.[4]

– "**الموضع أو المرتبة**": ليس هو موضع الشيء في الكلام بل هو البنية (شيء مجرد) "Le lien topologique" مثل" قاضٍ" موضع الياء موضع فارغ والأصل هو الفاعل جاء قاضٍ[5] .

– "**الجذور**" تصاغ على صيغ، وحدات كلمات فعل/ فاعل والصيغة التي قال بها الخليل لا توجد في اللسانيات الغربية وهي خاصة بالعربية."وأما ما قاله أندري مارتينيه فموجود في التراث[6].

– "**عامل ومعمول**": عامل أول ومعمول ثاني والصيغ من أعمق ما جاء به التراث العربي.[7]

---

[1] هذه علامة العدمية أو عدم العلامة "La marque des zéro"

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، **مشروع الذخيرة العربية**، المرجع السابق.

[3]المرجع نفسه.

[4]المرجع نفسه.

[5] المرجع نفسه.

[6]المرجع نفسه.

[7]المرجع نفسه.

-" **الحدْر**":النطق الصحيح المدرج وهو النطق بالعامية اليومي، كان العرب ينطقون يوميا بالحدر وهي تسهيل للفصحى (عامية) ولا يعلمون أن العرب استعملوا اللفظة العربية (الحدر) والصحابة أقروا هذه القراءة وأجازها الرسول عليه الصلاة والسلام واكتشفها الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة[1].

- "**الموقعية أو الموضع**" وهي أخص من الموقع وهو مفهوم رياضي نقول: موقعا مجردا ومثاله:زيداَ ضربتُ وضربتُ زيداً وهما ليستا نفس الخطاب وهنا (زيدًا مفعول به) في المثال الأول وهو تقديم خطابي وليس بينوي؛ إذ إن تغيير الموقع في المثالين والموضع نفسه والمعنى نفسه وليس نفس الخطاب، ومثال آخر: "قام زيدٌ" المعمول الأول لا يقدم على العامل فيقدم الفعل على الفاعل وجوبا وهو تقديم خطابي وليس بينوي؛ وهذا راجع للنحو ومثاله: "زيدٌ قام" فالمبتدأ زيدٌ هو المحدث عنه أي: المسمّى زيد، فالمحدث عنه هو الحدث ويقدم الفعل على الفاعل وهو المعمول الأول إذ لا يقدم على العامل والفعل حدثٌ مقترن بزمن في حين وقوعه لا يقولها المحدثون، وهذا ما لم يشر إليه أرسطو "حدث وزمن" إذ يحدث والدلالة عليه في حين وقوعه وهذا سر من أسرار العربية، وهذه دقائق لا يلتفت إليها المشارقة والمغاربة على حد قول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.[2]

-"**بينوي**" وليس بنيوي كما هو معروف عند معظم الباحثين العرب، يدعو الأستاذ عبد الرحمن إلى ترك مصطلح (بنيوي) ويستبدلها ب (بينوي) وذلك بالرجوع إلى كتاب سيبويه[3].

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **مشروع الذخيرة العربية**، المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

-"**الوضع والاستعمال**": وهو تماما التقابل فيما قاله سوسير Langue/ الوضع، parole / الاستعمال.[1]

"**لسانيات**": في مجلة اللسانيات ترجم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح علم اللغة **(مصرية)** واقترح تسمية علم اللسان أو اللسانيات، وقد نقلها سعد مصلوح بعد أن قابله الأستاذ في الجزائر، وهو أول من أخذ لفظة اللسانيات إلى المشرق، وسمى كتابه اللسانيات[2].

-"**المقطع**" مفهوم يوناني قديم" لم يعثرو عليه أصلا في تجاربهم المخبرية، فالأوروبيون والأمريكيون توارثوه وأرادوا دراسته في المخابر، ولم يجدوه "La syllabé est un notion factice en existe pas" ، قال العرب: كيف لم يكن موجود في التراث ونحن بنينا كل دراساتنا عليه، إذ يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يقول: "إن المقطع موجود في اللسانيات الحديثة وهو عبارة عن مجموع الصوامت والمصوتات بتعبير اللسانيات الحديثة"، ما أراد الحاج صالح أن يثبته وقال بأن المقطع موجود بين وقفتين "Entre deux pause" مثال:" كتب" متكونة من ثلاث مقاطع كْتَبْ "°"، إذا المقطع موجود في التراث[3].

-"**العاملي**": مفهوم عزيز علينا -كما يقول الأستاذ- والعاملي: = **قسمة التركيب** Combinatoire ما تحتمله هذه القسمة في الثلاثي والرباعي والخماسي مثال: "ضرب، ربض، بضر"، وهو مفهوم موجود في التراث.[4]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **مشروع الذخيرة العربية**، المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

-"**علم المخاطب**" أو" **ظواهر التخاطب**"، وهو يقصد به ما يعرف اليوم بعلم التداولية "Pragmatisme" عند معظم الباحثين، وقد تناوله في كتاب الخطاب والتخاطب و-هو الآن موضة كما قال الأستاذ- فأكبر اللسانيين في أوروبا حاليا يعالجون اللسانيات من خلال الخطاب والتخاطب؛ إذ يقول الأستاذ: "أنا الوحيد الذي استعمل "الخطاب والتخاطب" وهما مصطلحان عربيان أصيلان ليس كما يفعله المنبهرون بالغرب إذ يسمونه "التداول أو التداولية" وهذا المصطلح ظهر في المغرب الأقصى ترجمة لكلمة _Pragmatics Discours هي لا بأس بها لكن الأجدر العودة إلى ما هو موجود في التراث.[1]

"**اللمجة**"، ترجمة للكلمة الفرنسية "Le gouter" و "**Autoroute**" **الطريق السريع** أو **الطريق السيّار**"، فهذا ما ورد في "الرصيد اللغوي" الموجه إلى الصغار لتسهيل تعلمهم للغة بما أنهم مولعون بالتكنولوجيا، فلنجعلها وسيلة للتعلم والعلم وليس للعب والتسلي فقط- كما قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح- فبهذا الرصيد أراد الأستاذ أن يطبق ما فعله مع الرصيد اللغوي ويستغل الانترنيت لخدمة اللغة العربية .[2]

-**المَكْنَز**: **"Trésor"** أراد الأستاذ استغلال الانترنيت لصنع معجم عربي آلي والمتمثل في الذخيرة العربية أو المكنز العربي إذ إن المكنز الشيء الذي تكنز فيه المعلومات، فالمكنز أصح من الذخيرة، إذ الباحث مهما كان عمره ومستواه يسأل أو يبحث في اللغة العربية فيجيبه المكنز.[3]

كل هذه المصطلحات سواء كانت تراثية وأحياها الأستاذ أو إنها منقولة عن الغرب وصوَّب ترجمتها بالرجوع إلى كتب عباقرة اللغة العربية، تنم عن الاهتمام الشديد للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح لقضية المصطلح، واطلاعه الواسع لما هو موجود في التراث وما طرأ

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، **مشروع الذخيرة العربية**، المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

في الغرب من نظريات وعلوم تخص اللغة عموما والمصطلح خصوصا، كما تجدر الإشارة إلى دقته في الطرح والموضوعية الكبيرة التي تحلى بها الأستاذ وهذا الجهود واضحة لا ريب فيها.

2-1-3 مشكلات المصطلح في العالم العربي.

2-1-3-1اضطراب الترجمة وفوضى الاصطلاح:

سأتناول في هذا العنصر مشكلات الترجمة في عالمنا العربي من وجهة نظر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، إذ لم تتفق الأبحاث اللسانية العربية، الفردية أو المؤسسية، على تحديد موحد للمصطلحات المستجدة في مجال اللسانيات، أو في سائر العلوم كالطب والرياضيات وغيرها وقد تناول هذه القضية أيضا عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه اللسانيات واللغة العربية إذ يقول: "وغني عن القول أن الجهاز المفاهيمي في كل حقل علمي أو معرفي أو في نظرية من النظريات العلمية يترجمه نسق لغوي تتعالق وحداته لتكشف عن البنية الداخلية للعلم أو للنظرية، فلا غرو أن يهتم العلماء على اختلاف مشاربهم بهذا الجهاز المعبر عن المعارف والقوانين التي يتواصلون بها".[1]

وكل من تناول قضية المصطلح اللساني في العالم لابد أن يشير إلى مشكلة تخصه ونلمس بوضوح هذا الاضطراب في الترجمة وفوضى المصطلحات في قطاع العلوم اللسانية بشكل خاص، ومن ذلك تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد" كترجمة "Sign" برمز أو علامة أو إشارة أو دليل، وترجمة "Phrase" بركن وركنية وتركيبة وتكوينة وتركيب ومركب، وترجمة "Discoure" بحديث وقول وخطاب وكلام"[2]...هذا فيما ما يخص المصطلحات اللسانية، والأمر نفسه نجده في ترجمة النظريات مثل اللسانيات الحاسوبية؛ مصطلحا ومفهوما، حيث أطلقت عليها تسميات متعددة نذكر منها مثلا أنها تسمى تارة "اللغويات المعلوماتية" و"اللسانيات المعلوماتية" و"اللسانيات الإعلامية" و"اللغويات

[1] ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، المرجع السابق، ص 396.

[2] المرجع نفسه، ص ص 400-401

الحاسوبية" و"علم اللغة الحاسوبي" و"علم اللغة الآلي" "نظرية حاسوب لسانية..مع الإشارة إلى أن بين كل مصطلح والذي يليه فروق بينة[1].

2-1-3-2إشكالية توحيد المصطلح:

يشتكي المصطلح العلمي عامة واللساني خاصة من إشكالية عويصة وهي مشكل توحيد المصطلح، ولأننا لا ننتج الآلات والعلوم في عالمنا العربي ونستوردها فقط كما ذكرنا سابقا، هذا جعلنا نقع في مطب التعريب والترجمة لما هو غير عربي، واختلاف هذه الترجمات،جعل الأستاذ يهتم بهذا النوع من المواضيع، وقد شارك في ندوة التعريب وتوحيد المصطلح العلمي والتقني المنعقدة في الجزائر يوم 23 أفريل 1984.[2]

واللافت للنظر أن هذه الندوات وهذه المواضيع الشائكة كانت تطرح منذ زمن؛ فهذه الندوة مثلا مرت عليها حوالي أربعين سنة ولم يحل المشكل بعد، والأستاذ عبد الرحمن وآخرون ممن يهتم باللسانيات العربية وبمجال المصطلحات قد علِم خطورة التهاون في وضع المصطلحات كونها مفتاح العلوم والمعرفة المصطلحية تتطلب الدقة والجدية كما تتطلبها أي معرفة علمية.

وقد ذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن التطور التكنولوجي والعلمي يقترن بالنمو اللغوي، بل التطور المتسارع للعلوم والتكنولوجيا أدى إلى فيضان لغوي وجب على دارسي اللغة الاهتمام به، ولا يهتم به سوى من يعرف قيمة اللغة ليست كوسيلة تعبير واتصال فقط، بل كأداة لتحليل الواقع.[3]

---

[1] عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق، ص 76.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص ص 381- 382.

[3] المرجع نفسه، ص 382.

وفيما يخص توحيد المصطلحات قد شعرت جامعة الدول العربية بأهمية هذا العلم وأنشأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لها؛ فمكتبًا لتنسيق التعريب في الرباط، والغرض منه هو تجميع كل المصطلحات التي يجري استعمالها بالفعل في الوطن العربي وعرضِها على مؤتمر الخبراء العرب لاختيار بعضها، وبالتالي توحيدها، فأراد الأستاذ من خلال هذا الطرح أن يبين أهمية التوحيد بالرجوع إلى ما تجري من أعمال علمية في العالم العربي على غرار ما هو موجود في العالم الغربي وهم قد سبقونا أشواطا في هذا المجال.[1]

[1]ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 382.

2-2-التعريب غير كافٍ لترجمة المصطلحات العلمية المستجدة.

2-2-1تعريف التعريب:

تتعدد مضامين التعريب من مؤلف لآخر؛ إلى درجة قد تجعل هذا المفهوم يستغلق على عدد من الناس، فالتعريب عند العرب هو اقتراض مفردات من مجتمع لغوي آخر والعمل على تكييفها لمناسبة المجتمع أو اللغة المنقول إليها، وفي أبسط تعريف لهذا المصطلح نقول إنه:" نقل نصوص أو مصطلحات من لغة غير العربية إلى اللغة العربية وهذا ضرب من الترجمة، ويدخل في هذا الباب أيضا تعريب الأدوات التكنولوجية كالبرامج الحاسوبية، مثلا؛ لتصير قابلة لاستقبال العربية أو لتحليلها[1]، وهذا لا يعني أن نوظف اللغة العربية وحدها دون غيرها في قطاع معين، بل إن إدخال اللغة العربية إلى جانب العربية في بعض القطاعات قد يكون إسهاما في تمكينها وإنعاشها".[2]

والتعريب درجات أعلاها "تعريب الفكر واللفظ " وأسفلها تعريب "اللفظ"، يقول الجوهري في هذا الباب: "وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها"، وهو في مثل قولك في تعريب "Television": "تليفزيون" أو "تلفزة"، وأرقى راتب التعريب طبعا أن نصل إلى تعريب الفكر اللساني، أي أن نبدع في اللغة وبها مقولات تجعل غيرنا يأخذ عنا، ولكن السبيل إلى ذلك شائك ووعر.[3]

وكانت المباحث السابقة تدور أساسا حول مفهوم التعريب الاصطلاحي بمعناه الضيق – تعريف الجوهري– الذي يشترط في المعرب أن تتفوه به العرب على منهاجها، أو بمعناه

---

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب،1998، ص 158.

[2]المرجع نفسه، ص 160.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ، المرجع السابق، ص 410.

الواسع عند سيبويه الذي لا يشترط ذلك، بيد أن التعريب هو نقل فكرة أو مفهوم من لغة إلى أخرى، وهذا ما يعرف بالترجمة.[1]

والتعريب أسلوب مشروع وله أحكامه وضوابطه التي تُعنى في الأساس على إخضاع المصطلح الأجنبي لشيء من التعديل أو التغيير في بنيته، ليطابق النظم الصوتية والصرفية في العربية، وهو في المصطلحات تابع للترجمة وتالٍ لها؛ أي إن الترجمة والتعريب متتابعان– متى كانت الترجمة الدقيقة عصية المنال، أو كانت تنتظم بدقائق المعاني ومفاهيم المصطلح الأجنبي.[2]

وقد حاول الدارسون اقتراح أساليب معينة يمكن إتباعها في نقل العلوم والمصطلحات إلى العربية، متفقين تارة، ومختلفين تارة أخرى، وهذا الاختلاف كَون المصطلح المنقول من اللغة الأجنبية له خصوصية مما يشكل صعوبة في التعامل معه وفي أقلمته، وليس من النادر أن تكون المادة نفسها غير واضحة تمام الوضوح بالنسبة للناقلين، إما لجدتها أو لضعف في استيعابها وهضمها الأمر الذي من شأنه أن يزيد المسألة تعقيدا واضطرابا وارتأى كمال بشر أن يرتب أساليب النقل من اللغات الأجنبية في تعريب العلوم على النحو التالي:

- الترجمة.
- التعريب.
- نقل المصطلح الأجنبي بحاله.[3]

[1] محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث" ع معاجم الألفاظ المعربة"، دار الفكر العربي، القاهرة،1990، ص 267.

[2] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1989، ص 326.

[3] المرجع نفسه، ص 324.

ومعنى نقل المصطلح الأجنبي بحاله هو أخذه كما هو بصورته الأصلية غير منقوصة لتعذر ترجمته حتى يستقر مفهومة ويتضح بصورة لا لبس فيها ولا غموض، ولا ضَير أن يعود إليه الدارس لترجمته إن استطاع بعد ذلك...وينبغي أن يكون النقل الحرفي مشروطا وموقوفا على أهل الاختصاص واللغويين، وأن يتحملوا مسؤولياتهم ويبذلوا ما في وسعهم في سبيل سد النقص والتخلص منه.[1]

ويولي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كل بحوثه أهمية كبرى لما جاءنا من التراث العلمي العربي من ألفاظ ومصطلحات، ويرجع –في غالب الأحيان– تخلفَ الدراسات العربية إلى عدم جدية الباحثين العرب في تناولهم إياه –التراث–وإعطائه القيمة التي يستحقها، إذ أنه غني بالعلوم وبالمعاجم بأنواعها وبالألفاظ على كثرتها؛ قادرة على مسايرة الزمان والمكان.

ولهذا أمر السياسيون بنقل الكتب العلمية الغربية إلى العربية وخاصة في مجال الطب والرياضيات، وقد كانت حركة الترجمة عظيمة في مصر أحيت العديد من المصطلحات العلمية التراثية من خلال ترجمتها للكتب الأوروبية، في محاولة لإحياء التراث العربي وأخذ المصطلحات العلمية المستجدة منه كلما احتيج إلى مصطلح؛ يغطي التطورات الجديدة في العلوم والتكنولوجيا إلا أن هذا المجهود ينبغي أن ينسجم مع ما طرأ من تقنيات جديدة في التوثيق والمعلومات عامة، فلا يعقل أن يواصل هؤلاء أعمالهم بطريقة حِرفية التي عرفوا بها إلى الآن.[2]

ويصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح البحث العلمي باللغة العربية بأنه جد سيء مقارنة بما يوجد في الدول الغربية؛ إذ إن التطور التكنولوجي شمل جميع مجالات الحياة عندهم، بالإضافة إلى البطء الذي يمس وضع المصطلحات عندنا وإقرارها، وحِرفيته وفرديته؛

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، المرجع السابق، ص 326.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 107.

ثم إن للغة جوانب أخرى لا بد أن تستغل في البحث عن هندسة اللغة الحديثة؛ مثل: التركيب الاصطناعي للكلام، والاستكشاف الآلي له، وبذلك يتم تنطيق الأجهزة وخاصة الحاسوب .

ثم ينبه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى أهمية التكنولوجيا في إحياء التراث ومصطلحاته؛ وذلك باستعمال تقانات الذكاء الاصطناعي حيث يمكن إدخال اللغة الفصحى في جهاز الحاسوب وبفضل البرمجيات الخاصة في مجال تنطيق الحاسوب؛ يتم تركيب الكلام والاستكشاف الآلي له، وينوه الأستاذ إلى الإشكال الذي وقع فيه علماؤنا العرب ليجعلوا اللغة الفصحى لغة منطوقة عفوية، ولا يمكن الحل في تفصيح العامية لأن هذا التحويل يخص كيفية تعليم النطق العفوي غير المصطنع للفصحى، وهذا ما تناوله في بحث ألقاه في ندوة "اللغة العربية إلى أين؟" التي نظمتها *ISESCO في الرباط في أكتوبر عام 2002وكان هذا البحث بعنوان: اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر.[1]

ويثني الأستاذ عبد الرحمن على دور المجامع اللغوية في هذا الشأن منذ نشأتها وما قامت به من دور كبير في إحياء التراث والأخذ منه مصطلحات توائم زماننا هذا؛ فكل مجمع وكل عالم فيه قام بمجهودات جبارة تستحق الثناء، لكن هذا الثناء لم يمنع الأستاذ من نقد الطابع التقليدي الذي تتصف به الأعمال العلمية اللغوية وبالتالي لن تستجيب لمتطلبات العصر ويتمثل هذا النقد في النقاط التالية:

* ISESCO هو اختصار لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والثقافة والعلوم Organisation du monde Islamique pour l'éducation, Les Sciences et la Culture.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 125.

1. **اعتباطية العمل:** أي "عدم خضوعه لضوابط علمية وعدم مراعاة معطيات العلوم اللسانية الحديثة"[1]، إذ إن اللغة وضع واستعمال وليست فقط وضعا –كما ذكر الأستاذ–بل إن لظواهر الاستعمال أسرار وكيفيات خاصة، واللغوي الذي لا يهتم بذلك فمثله كمثل الصانع الذي يضع للناس أدوات دون أن يراعي اهتمامهم وحاجاتهم الحقيقية، فما دام اللغوي يضع لغيره المصطلحات، وهو يجهل كل هذه القوانين التي تجعل من هذا اللفظ يسير على الناس ويشيع شيوعا واسعا ويقضي في الوقت نفسه على ذلك اللفظ الآخر لأسباب معينة ولأحوال يتصف بها لا تلائم هذه القوانين الخفية.[2]

ويمكننا –كما قال الأستاذ– إجراء بعض التحريات الميدانية الواسعة على ما وضعه اللغويون (حصرها وإحصائها) خلال أكثر من نصف قرن من ألفاظ جديدة، لنحصي ما دخل منها في الاستعمال الفعلي؛ ثم ننظر في تلك القوائم لنبحث عن أسباب نجاح اللفظ أو فشله من جميع الجوانب: الاجتماعية المحضة، النفسانية والفيزيولوجية وغيرها، ثم اختبارها بالاستفتاء الذي يوجه إلى المستعملين أنفسهم، ثم النظر في نتائج الاستفتاء..وقد يقول اللغوي التقليدي إن هذا ليس من اختصاصه؟ والإجابة: أنه يزال ينظر إلى البحث اللغوي على أنه مجرد بحث عن الألفاظ في القواميس، والنظر في كيفية ملاءمتها للمسمى والاشتقاق منها وهكذا يجمدون البحث اللغوي عن كل ما يمكن أن يفيده[3].

ويطرح الأستاذ في هذا الصدد عدة تساؤلات تتعلق بهذا الموضوع الشائك:

- هل اعتمد اللغويون قبل اليوم على منهجية علمية دقيقة واضحة في استخراجهم للألفاظ من القواميس؟

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 126.

[2] المرجع نفسه، ص 127.

[3] المرجع نفسه، ص 127.

- هل كان عملهم هذا منظما منسقا مخططا لا يترك مما هو موجود في طي القواميس أي شيء يستحق أن يذكر ويقترح كمصطلح يناسب المسمى الفلاني؟
- هل أُقيمت ورُتبت كل المفاهيم الأساسية التي لا توجد لها مقابل في اللغة العربية وعلى أي أساس يتم اختيارها، ولماذا كان دائما المنطلق اللغة الفرنسية وحدها، أو الانجليزية وحدها؟ أو لم يعلم أن الألفاظ الدالة قد يختلف مدلولها من لغة إلى أخرى مع اتحاد المسمى؟ أي قد يتفق اللفظان من لغتين مختلفتين في إطلاقهما على المسمى الواحد ويختلفان في نظرة أصحابهما إلى ذلك المسمى؛ فكل واحدة من اللغتين المذكورتين قد تسمي الشيء الواحد ويكون تصور أصحابها له غير مطابق تماما لتصور الآخرين.[1]

كل هذه الأسئلة إذا استطاع أصحاب الاختصاص الإجابة عنها بكل موضوعية فقد نرى تطورا ملحوظا في ميدان إحياء المصطلحات من التراث وموائمتها لمستجدات التطور التكنولوجي وذلك بمساهمة تقانات الحاسوب والاستعانة بما وصل إليه الذكاء الاصطناعي في وضع المصطلحات، ولهذا ينبغي أن ينطلق هؤلاء من أكثر من لغة واحدة لضبط المفاهيم المشتركة بين الأمم، ونتحفظ–يقول الأستاذ عبد الرحمن– في نقل المفاهيم الخاصة بأمة واحدة أشد التحفظ، وذلك لتفادي التبعية الثقافية التي قد تشوه العربية.[2]

وردًّا على هذا الاعتباط كله في وضع المصطلحات؛ يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أنه لا بد من الرجوع إلى ما قاله علماؤنا في شأن الأصوات والحروف وتنافرها وهو مبحث من مباحث علم البلاغة العربي، ومن ثم الاعتماد على التجارب العلمية في المخابر الصوتية الحديثة، وإلا سيكون عملنا خبط عشواء، ولهذا –يضيف الأستاذ– بدأنا في بلادنا في إجراء البحوث الميدانية والمخبرية الشاملة للحصول على هذه المعطيات التي لا مناص

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 128.

[2] المرجع نفسه، ص 128

منها، وهذا البحث نشر في مجلة اللسانيات في عددها الرابع بعنوان: "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مُدرسِي اللغة العربية".[1]

2. **حِرَفِيّة العمل:** ويقصد بها البحوث الفردية التي تعتمد على المعالجة اليدوية؛ كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء[2].

ويركز الأستاذ على العمل الجماعي إذ يقول:" إن العمل الجماعي هو الذي تقوم له جماعة أو أسرة من الباحثين ينتظمون فيما بينهم انتظام الخلايا"[3]وسأشير عن هذا المصطلح الذي كرره الأستاذ كثيرا في العنصر الموالي (إشكالية الترجمة).

3. **أحادية العمل (عدم شموليته):** وذلك بعدم الرجوع إلى كل المصادر العربية التي يمكن الاستقاء منها جميع المراجع الأجنبية لتحديد المفاهيم الحديثة.[4]

ثم إن أكثر اللغويين– يقول الأستاذ– ممن يهتم بوضع المصطلحات يقتصر على البحث في المعاجم المتداولة؛ كالقاموس المحيط ولسان العرب والصحاح وغيرها، ويجعلونها مصدرهم الوحيد، ويصف الأستاذ أن النصوص التي وصلتنا كأمهات الكتب في الآداب والعلوم بأنها قليلة الاهتمام من قبل اللغويين، ومهما بلغ تبريرنا لموقفهم فإنها تضل ناقصة، وهذا ظنا منهم أن ما هو موجود في القواميس هو نفسه الموجود في الاستعمال هذا وإن كان صوابا في ظاهره، لكن قد لا تحيط القواميس بالمدلولات الجزئية الموجودة بالفعل عند مستعملي اللغة، ويكرر الأستاذ دائما أن اللغة وضع واستعمال فالموضع ما حملته القواميس،

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق ص 130.

[2] المرجع نفسه، ص 126.

[3] المرجع نفسه، ص 130.

[4] المرجع نفسه، ص 126.

والمستعمل ما كان متداولا في حياة الأفراد (اللغة أثناء الاستعمال) وهذا موضوع علم التداولية المستحدث وسنأتي إلى معالجته في حينه.[1]

ويقترح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وضع "الذخائر اللغوية الآلية" التي ستحوي بالضرورة على كل ألفاظ العربية التي وردت في الاستعمال الفعلي في النصوص التي وصلتنا (حتى المخطوطة منها)، وعلى هذا يعتمد على السياقات والقرائن من الشعر الجاهلي إلى غاية الصحف الموجودة في عصرنا الحالي، فيمكن هذا واضعي المصطلحات من استغنائهم على القواميس، وهذا لن يكون إلا إذا كانت الجهود منتظمة وشاملة والاستعانة بالآلات المعمول بها (الحواسيب) كما هو معمول به في فرنسا مثلا فذخيرة اللغة الفرنسية "Trésor de la langue française" يغطي قرنين من الاستعمال لها؛ وقد دونت فيها المعطيات اللغوية (النصوص الأدبية والعلمية) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التسع عشر والقرن العشرون، ولجئوا في ذلك إلى الحاسوب في تتبع جميع سياقات كل مفردةُ ثم حرر كل عالم عددا من المداخل اعتمادً على هذا الذي دونوه أولا ثم على الدراسات الدقيقة للسياقات لجميع الكلمات، وأًصدروها في 16 جزءا كبيرا على شكل معجم وحوسبوه ليصير آليا، لنتهوا من هذا العمل سنة 1998 وهو الآن في متناول أي باحث.[2]

وخلاصة ما عرضناه نقول: إن المفاهيم العالمية المتفق على أهميتها في الميدان العلمي والتقني هي التي ينبغي أن تعرّب، ولا سبيل إلى العثور عليها إلا بالمقارنة الدقيقة بين مدلولات الألفاظ في أكثر من لغة، ثم إن اختيار اللغوي لهذا اللفظ الذي عثر عليه بالصدفة في قاموس من القواميس للدلالة على مسمى من المسميات الحديثة أيضا يعد عملا اعتباطيا، لعدم اعتماده على الاستقراء الواسع والشامل لجميع معطيات اللغة، ويضرب الأستاذ عبد الرحمن مثالا واقعيا عن كلامه هذا؛ إذ أطلق بعض المعجميين اعتباطا لفظة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق ، ص 132.

[2] المرجع نفسه، ص ص 132– 140.

(الأرزيز) للدلالة على (الهاتف)، (والمثطة) للدلالة على(مضرب الكرة) هذه المسميات وغيرها تكون غريبة على مستعملي اللغة في عصرنا، وقد تكون غريبة أيضا عند العرب القدامى أنفسهم، ولهذا فجواب التساؤل الذي طرحناه في بداية هذا الجزء نقول: إن التعريب وحده غير كاف لترجمة الكم الهائل من المصطلحات المستجدة في زمننا هذا.[1]

ولدفع حركة النمو يقتضي التعريب الشامل للتعليم ولأي تكوين أيا كان عموما، وهذا لابد له من وجود مراجع وكتب باللغة العربية، فالمتوفر قليل جدا في الوقت الحاضر بل قد تكون بعض الميادين العلمية الدقيقة والطلائعية لا توجد فيها أية مراجع، فكيف لطلبة العلم أن يقرءوا ويطوروا ويبدعوا ويطلعوا على ما استجد في مجال العلم والتكنولوجيا والمراجع لا توجد بلغتهم؟

2-3-إشكاليات الترجمة وحلولها عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح:

وقد عرض الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بعض الحلول التي يراها تعالج إشكالية الترجمة في عالمنا العربي إذ إن في مجال تعريب العلوم يفضل البدء بمحاولة ترجمة المصطلحات الأجنبية التي يراد نقلها إلى ساحتنا العلمية، على الرغم مما قد تنظمه الترجمة من مزالق وتضحيات بحقائق الأمور في قليل أو كثير، لأن للترجمة مزايا علمية وقومية، يتمثل أهمها في الظفر بحقائق علمية نكسوها لباسا عربيا يرشحها للتمثيل والهضم والاستيعاب في سهولة ويسر بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من إثراء اللغة العربية وتطويع مادتها.[2]

واختيار البدء بالترجمة على رأي الأستاذ "كمال بشر" مشروط بشرطين متلازمين:

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 128-129.

[2] ينظر: كمال بشر، ، دراسات في علم اللغة، المرجع السابق، ص 325.

أولهما: الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبي، وثانيهما: أن يكون المصطلح العربي المقابل مناسبا، نطقا وصياغة، خاليا من الشذوذ والإغراب في أصواته وبنائه، أي أن تكون صورته النطقية مقبولة مستساغة وشكله الصرفي مأنوسا، بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره في الوسط العلمي المعين".[1]

[1] كمال بشر، ، دراسات في علم اللغة، المرجع السابق، ص 325.

2-3-1 إشكاليات الترجمة في العالم العربي:

عرف الدارسون الترجمة منذ القدم ولم تكن علما أو فنًّا -كما يحلو للبعض تسميته- خاصا ومستقلا، له آلياته ومصطلحاته كما هو الآن؛ لكنها كانت الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب من قوم إلى قوم فتتمازج تلك العلوم وينقل بعض من بعض فتكاد تنصهر، وقد أولاها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بمقالات عديدة ذكر أهميتها وإشكالاتها خصوصا عند الباحثين العرب في عصرنا الحالي فلا تكاد تخلو النظريات الحديثة من كم هائل من مصطلحات في المشرق والمغرب تخلط على الباحثين أخذهم للعلم بسهولة.

كما تعد الترجمة عند الأستاذ عبد الرحمن من الوسائل الأساسية للرقي اللغوي في أية لغة، ومن هذا المنطلق يرى أنه من الضروري أن يكون موضوع اهتمام بالبحث العلمي وأن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تمارس كما يمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه لأنه -يضيف الأستاذ- باب من أبواب التفتح على الآخر و أن إتقان لغة زائدة عن اللغة الأم هي فرض عين على كل مشتغل بالبحث، ثم لا بدّ من التوسع في إقامة مراكز الدراسة وممارسة فن الترجمة في كل بلد عربي بشرط أن يكون التنسيق بينها وتشجيع الأبحاث في مجالها.[1]

وقد أراد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن يربط الترجمة بتطور الأمم، كيف لا وقد ساهمت الترجمة في قيام النهضة في أوروبا وأخرجتها من ظلمات الجهل بعد التفتح على حضارات التي قبلها وبعدها، كما أشار الأستاذ إلى نقطة مهمة وهي ضرورة تكاثف الجهود العربية في المشرق والمغرب لترجمة ما يستحدث من علوم ونظريات ومصطلحات في العالم الغربي خصوصا وأن عالمنا العربي اليوم غارق في الجهل ومتخلف أشواطا على ركب الحضارة الغربية التي عمادها التكنولوجيا، وبالذات بعد ما تطورت تكنولوجيات الإعلام

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 371.

والاتصال وأصبح من الممكن على كل من يريد أن يتعلم لغة ثانية قد أصبح من السهل بما كان، وأقر الأستاذ أن تعلم لغة ثانية أصبح فرض عين ولم يعد فرض كفاية، ومن خلال هذا الطرح يمكن بلورة مشكلات الترجمة كالآتي:

2-3-1-1عدم توفر المراجع والمصادر العلمية باللغة العربية:

إن من بين المشاكل التي تعيق مسار الترجمة في عالمنا العربي كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هي "عدم توفر المراجع والمصادر العلمية باللغة العربية؛ وتوفر الكتاب العلمي عامة متوقف جله على الترجمة من جهة، وعلى توفر المصطلحات العلمية باللغة العربية من جهة أخرى".[1]

كما يشير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن المجامع اللغوية –كان عضوا في كل منها– " قد بادر علماؤها في وضع ما يحتاجونه من المصطلحات العلمية باللغة العربية لسد حاجاتهم وهذا منذ أكثر من قرن من الزمان انطلاقا من مجمع دمشق إلى آخر مولود في هذا الميدان وهو المجمع الجزائري –الذي ترأسه إلى أن وافقته المنية عام "2017.[2]

2-3-1-2كثرة المفاهيم العلمية

يشرح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مشكلا آخر يعيق الترجمة في عالمنا العربي وهو أن كثرة المفاهيم العلمية التي ظهرت في عصرنا؛ أعجزت إلى حد كبير واضعي المصطلحات، وبقي المشكل كما كان في أول أمره إلا أن الجهود الضئيلة تبقى فردية وهي لا تفي بالغرض كونها مبعثرة غير منتظمة.[3]

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 371.

[2] المرجع نفسه، ص 371.

[3] المرجع نفسه، ص 371.

2-3-2الحلول المقترحة لإشكالية الترجمة في العالم العربي:

بعد أن عرض الأستاذ قضية الترجمة في الدراسات اللغوية عموما، والعربية خصوصا، وتناول عيوبها ونقائصها أردف بحلول اقترحها لحل هذا المشكل الذي يعرقل سير الدراسات اللغوية، إذ يقول: "إن بعض الدول العظمى اقترحت في وقت ليس ببعيد إنشاء مؤسسة تقوم بالترجمة للمراجع العلمية على نطاق واسع بعد تفطنهم لأهمية الترجمة بالنسبة للكتاب العلمي، وتبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذه الفكرة"[1]، غير أن هذا القرار في نظر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح غير كاف كون الذهنيات لم تتغير في رؤيتها لمفهوم الترجمة والعمل في مجال المصطلحات غير نشط بالمرة[2].

وفي ما يلي بعض مقترحات الأستاذ عبد الرحمن لإشكالية الترجمة في العالم العربي وهي عبارة عن مشروعين جزائريين يرميان إلى حل جذري لهذا الإشكال الذي عطل حركة التطور العلمي والفكري للعالم العربي:

2-3-2-1مشروع تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المتخصصة:

يقوم هذا المشروع بتكوين مترجمين متخصصين كون عالمنا العربي يشهد فراغ مهول وخطير –كما وصفه الأستاذ– في عدد ونوعية المترجمين قد يؤدي هذا الفراغ إلى إيقاف نمو الحركة العلمية وبالتالي الحركة الاقتصادية وكل مجالات الحياة بالضرورة. وهذا لا يتأتَّى إلا توفر الكتاب العلمي ولا يكون ذلك إلا أذا استرجعت اللغة العربي مكانتها التي كانت عليها.[3]

ويصف الأستاذ عبد الرحمن عدد المترجمين في عالمنا العربي بالعدد التافه جدا خصوصا في ميدان الترجمة المتخصصة لهذا فالحل الذي اقترحه الأستاذ هو من ينجينا من

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 182

[2] المرجع نفسه، ص 182 وما بعدها.

[3]المرجع نفسه، ص 372.

غياهب الجهل؛ وهو الإعداد على نطاق واسع لعدد كبير من المترجمين المتخصصين في نقل العلوم ومحو الاعتقاد أن الاكتفاء الذاتي في الترجمة مثله مثل الاكتفاء الذاتي في الغذاء هذا سيعود بنا لا محالة إلى عصر الانحطاط.[1]

ويشير الأستاذ عبد الرحمن إلى نقطة مهمة وهي استعمال المجموعة الأوروبية (السوق المشتركة) لألفي مترجم (2000) متخصصا، وأكثر من خمسمائة (500) كتابا يترجم شهريا إلى الفرنسية والروسية والألمانية والصينية وغيرها من اللغات، وأنه بفضل هذه الحركة العملاقة في نقل العلوم من لغة إلى أخرى يمكن لهذه الدول أن تطلع على الأعمال التي يقوم بها العلماء والخبراء في ميدان التكنولوجيا على مستوى العالم دون تخل منهم عن لغتهم الوطنية، بالإضافة إلى بنوك للمعلومات اللغوية والاصطلاحية تحتوي على ملايين من الوحدات، فلولاها لما استطاعت الفرنسية أن تواجه الانجليزية في كندا وهذا مثال ذكره الأستاذ لتأكيد فكرته.[2]

ويلفت الأستاذ عبد الرحمن نظر المسئولين عن التكوين ويقر أن قصده ليس تكوين مترجمين فقط، بل اختصاصيين في علم المصطلح؛ فإذا تركنا كل من هب ودب يترجم فهنا ستقع الكارثة، فلماذا وُجد التخصص مثلا[3] إذا كان الأمر بهذه السهولة؟.

وأما بالنسبة للحل الثاني الذي اقترحه الأستاذ عبد الرحمن لمعضلة الترجمة فقد كان:

2-3-2-2شمولية البحث شرط لنجاعته: مشروع الذخيرة العربية.

يصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح البحث عن المصطلحات في الاستعمال الحالي لتجميعها وتوحيدها في الوطن العربي بشبه الحِرَفي؛ ويعني بهذا الوصف أنه لم يخرج

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 383.

[2] المرجع السابق، ص 373.

[3] المرجع نفسه، ص 373

عن طور البحث الفردي اليدوي، حيث إنه لا يزال البحث عن المصطلحات على مستوى الأفراد وليس على مستوى الجماعات حتى لو كان هؤلاء الباحثين ينتمون إلى هيئة علمية ينتسبون إليها، إذ العمل الجماعي –يقول الأستاذ عبد الرحمن– هو الذي تقوم به أسرة من الباحثين ينتظمون فيها انتظام الخلايا، كلٌ يؤدي فيها عملا جزئيا يكمل أعمال الآخرين.

ولأن دور التكنولوجيا كبير في عالم المصطلحات يذكر الأستاذ: "فهذه مجموعة تكلف بضبط المعطيات وجردها وترتيبها، وهي تعتمد على مجموعة أخرى تتحراها في الميدان وتجمعها وتحصل عليها في كل ذلك بفضل المناهج المهيأة سلفا لهذا الغرض، وتلك مجموعة أخرى تجري على معطيات التحوير اللازم بالحاسبات الالكترونية (الرتابات)؛ وهي تعتمد بدورها على اختصاصيين في الترجمة"[1]، ثم يضيف الأستاذ قوله:" وكل ذلك موجود بالفعل في الكثير من معاهد العلم ومراكز البحث الكبيرة في أوروبا وأمريكا"[2].

وفي هذا الصدد نشير إلى ما نقله كمال بشر إذ قال:" ما قامت به دولة السودان الشقيقة حين أقدمت في سبتمبر 1990 على تأسيس ما سموه "الهيئة العليا للتعريب" متضمنا القرارات واللوائح المنظمة لأعمالها ومسئولياتها تجاه أهدافها وغاياتها، وقد ضمنت نظام

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 376.

[2] المرجع نفسه، ص 376.

العمل عقد دورات متخصصة في علم اللغة العربية وفقهها للعاملين في مجال التعريب، حتى يكون عربيا متكاملا فكرا ولغة".[1]

ويؤكد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال عرضه هذا عن شمولية البحث؛ على دور العمل الجماعي المنتظم في إعطاء قفزة نوعية في مجال الترجمة كونه الحل الثاني بعد تكوين مترجمين متخصصين كما هو الحال في أمريكا وأوربا، فالأعمال الفردية لا يمكن أن تؤدي ما تؤديه روح الجماعة وشبهها بالخلايا كل بوظيفته،ويشير في هذا العرض أيضا إلى تناسي المسئولين في الوطن العربي وإغفالهم للعمل والجماعي وفائدته العظيمة.[2]

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة ، المرجع السابق، ص ص 328–331.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 376.

وختاما لما عرضه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح لحل إشكالية الترجمة في عالمنا العربي يمكن القول: إن هذا كان عبارة عن تمهيد لحديثه عن مشروعه العظيم عظم اللغة العربية والكتاب المنزل بها ألا وهو مشروع الذخيرة العربية ؛ فالأستاذ عبد الرحمن اقترح هذا المشروع وهو يستوفي كل ما قاله واقترحه من حلول لمشاكل تخلف اللغة العربية والناطقين بها في هذا الزمن، وسنفرد له مبحثا مستقلا بإذن الله.

وقد اقترح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كرد منه على ما يخص البحث في استعمال المصطلحات في الوقت الحالي؛ إذ وصف ما تحرره الهيئات من قوائم تجمع فيها ما يصلها من معلومات في مختلف المؤسسات العلمية العربية بأنه غير كاف وغير مستوف لما يتطلبه البحث العلمي الميداني؛ وهذه المقترحات هي؛ القيام بمسح كامل شامل لكل ما يجري استعماله في جميع المؤسسات العلمية كالجامعات والمعاهد ومراكز البحث والمصانع وورشات العمل وغيرها، التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة من خلال إجراء التحريات الميدانية الواسعة، كما فعل معهد العلوم اللسانية في الجزائر منذ أكثر من اثنا عشرة عاما في تجميع اللغة التي استعملت بالفعل في نص من النصوص، ويدخل هذا العمل كما أشرنا سابقا بما يسمى الذخيرة اللغوية العربية.[1]

ختاما ومن خلال هذا العرض لأفكار الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح خاصة فيما تعلق بمنهجه في التأصيل والتجديد، وفي دفاعه عن أصالة النحو العربي يمكنن القول إن للأستاذ طريقته الخاصة في التعامل مع التراث اللغوي العربي، وذلك من خلال الاعتماد على طرق علمية صحيحة لتكون النتائج دقيقة قدر المستطاع، وهو منهج قلَّ من يعتمده في عصرنا.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص ص 377-378.

الفصل الثاني:

الفصل الثاني: اللسانيات وحوسبة التراث العربي.

1_ جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات الحاسوبية.

1-1 تعريف اللسانيات الحاسوبية.

1-2منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.

1-3 كيفية حوسبة اللغة العربية.

2- قضايا المعجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

2-1منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين.

2-2أنواع المعاجم الحديثة عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح .

2-3 مشروع الذخيرة العربية .

الفصل الثاني: اللسانيات وحوسبة التراث العربي.

سأتناول في هذا الفصل بإذن الله قضايا اللسانيات الحاسوبية كما عرضها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فهو يولي أهمية كبيرة لاستخدام التكنولوجيا في خدمة اللغة العربية، ثم أشير إلى دور النظرية الخليلية الحديثة في حوسبة التراث اللغوي العربي لأختم الفصل بقضايا المعجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

استخدام الحاسوب في مجال اللغة عندما اتضحت فكرة إمكان تحويل الوجود المادي للغة كتتابع منظم منطوق ومسموع إلى نظام آخر من التتابعات على أساس البطاقات المثقبة مثلا، وتطور الحاسوب، فدخل التحليل الآلي للغة كما دخلت الترجمة مجالات علم اللغة الحاسوبي؛ إذ يقدم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدونات ذات الطابع الحصري الشامل الذي يخدم البحث العلمي.[1]

1_ جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات الحاسوبية.

1-1 تعريف اللسانيات الحاسوبية.

فرض التطور العلمي على الباحثين في مختلف مستويات نظام اللغة التعامل مع التكنولوجيا الحديثة؛ ومن بين العلوم التي واكبت هذا التطور"اللسانيات"، إذ ظهر تخصص جديد بدايات الخمسينيات من القرن الماضي أطلق عليه "اللسانيات الحاسوبية" والحوسبة: "هي صياغة صورية للأنظمة اللسانية تتشكل من مجموعة الرموز الشكلية الضابطة لخصائص النظام، تتحدد بفضلها العلاقات الدلالية الممكنة والجامعة بينها، وتوفر إمكانات تأويل الظاهرة اللسانية، إذ توجه هذه الصياغة قيود توليف بين المقولات والسمات مخزنة في الذهن تشتق منها البنى اللغوية على اختلافها عبر أطوار اشتقاقية...تساعد هذه الآلية على

[1] محمود فهمي حجازي، الحاسوب وصناعة المعجم العربي،مجلة التواصل اللساني، إعداد: محمد الحناش، م1، 1993، ط1، الدار البيضاء، ص 68.

شكلنة المعطيات اللغوية لاشتقاق نظام قادر على وصف البنى اللسانية في اللغات الطبيعية".[1]

ومن المؤكد أن للدماغ البشري نظاما خاصا به في تخزين اللغة واسترجاعها والدماغ مبني على شكل آلة لها دَخْلٌ (Input) ولها خَرْجٌ (Output)، أما في الدخل(التحليل) فنجد قواعد البيانات التي يتمرس عليها الإنسان فتتكون لديه التجربة اللغوية التي ستبني عليها الآلة منظومة الخوارزميات التي تقوم بخزن اللغة في الدماغ، على شكل قوانين صورية؛ هذه هي التي يطلق عليها في اللسانيات بالكفاية اللغوية، وبعد ذلك تأتي مرحلة الخرج (التوليد) والتي يتم فيها إنتاج اللغة واستقبال الإشارات اللغوية وتحليلها قبل عرضها على الجهاز الخوارزمي، هذا الجهاز بمكوناته الثلاثة يقوم بمراقبة إنتاج اللغة إرسالا واستقبالا، وذلك بالتنسيق بين اللغوي واستعماله سياقيا ومقاميا.[2]

ومن هنا جاءت فكرة اللسانيات الحاسوبية، والتي تعني صورنة اللغات الطبيعية، لأجل تطوير ووضع وسائل وأدوات للعلاج الآلي للغات، قصد صياغة نموذج للنظريات اللسانية، موضوعها المعالجة الآلية للغة الطبيعية، بناء على منطق رياضي برهاني، يتتبع اللغة الطبيعية في مختلف مراحل علاجها، بدءا من الدخل إلى عمليات التكشيف، مرورا بتحويل عمليات التفسير التفاعلي الداخلي الصوري إلى عمليات الإظهار النهائي للغة الطبيعية على الشاشة بناءً على ثلاثة أركان أساسية هي:[3]

1- التخطيط (Planing).

2- التنظيم (Organisation).

[1] ينظر: سرور اللحياني، اللغة الداخلية وحوسبة اللغة النحوية، اللسانيات وإعادة البناء، المرجع السابق، ص 269.

[2] ينظر: محمد الحناش، التواصل اللساني، سلسلة ندوات، م1، ط1، الدار البيضاء، 1993، ص 9-10.

[3] عبد الواحد دكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق، ص 82.

3-البرمجة (Programmation).[1]

وتؤسس هذه الأركان الثلاثة إلى مفهوم صناعة اللغات "Industrie de langue" بكل ما يقتضيه هذا المفهوم من قضايا منهجية مناسبة وملائمة، تدمّج المنهجين اللساني والوصفي الصوري "Taxinomique"، والمنهج الرياضي الخوارزمي، اللذين يشكلان محور صناعة اللغة التي تقايس في الأدبيات المعلوماتية "صناعة المعلومة" "Industrie de L'information" وتعني:

1-مجموع الأنشطة الرامية إلى جعل الحاسوب يتحكم ويؤول ويولد اللغة الطبيعية المقروءة والمكتوبة من طرف الإنسان.

2-مجموع الأعمال المختلفة التي تسهم في بناء وتطوير برامج تسويقية للمعطيات اللسانية/اللغوية بطريقة عملية في مجالات محددة وهي:

- معالجات النصوص والمصطلحات الإملائية والنحوية.
- البرامج التعليمية.
- القواميس الالكترونية التفاعلية لغايات مثل التواصل المنطوق والترجمة الآلية.
- توليد النصوص.
- النشر الالكتروني.
- معالجة الكتابة .
- معالجة النصوص المتقدمة (التلخيص، التشكيل الآلي...وغيرها).[2]

تتركز دراسة حوسبة اللغة حول مسارين الأول: محاكاة التفكير الإنساني **"Simulation"**، والثاني: محاكاة الأداء **"Emulation"**[3] ، إذ تشكل العلاقة بين اللغة

[1] عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص ص 82-83.

[3] شحدة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، المرجع السابق، ص 317.

والحاسوب إحدى الموضوعات الرئيسية، وهي فرع من فروع العلوم الإدراكية، ومن أهم موضوعاتها دراسة الجوانب الحاسوبية لمقدرة الإنسان اللغوية،[1] وقد ازدهر هذا العلم في العالم العربي على غرار العالم الغربي رغم وجود بعض العوائق التي يسعى أصحاب الاختصاص حلها، وقد كان للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مجهودات عظيمة في هذا المجال وركز عليه كثيرا وهذا ما جعله يفيد العربية بمشروع حضاري لو طُبق كما يجب لارتقت العربية ووصلت للمكانة التي تستحقها؛ وأطلق على هذا المشروع "الذخيرة العربية" وسنأتي للحديث عنه في مبحث مستقل.

1-1-1منهج اللسانيات الحاسوبية:

إن فهم طبيعة المنهج في اللسانيات الحاسوبية يقوم على التداخل التام لمعيارين أساسيين هما:

- **الخوارزم(Algorithme):**

وهو إجراء خاص يتكون من متوالية من المراحل المحددة بدقة تؤدي إلى حل مجموعة من المشاكل، وهو في العموم ذو طبيعة رقمية، وقد يكون تكراريا يعاد لمجموعة من المرات.[2]

- **تدبير قواعد البيانات (Base de Données):**

وهي عبارة عن متن مفتوح (Corpus ouvert)، لا يعتمد على المعاجم الجاهزة، وإنما يقبل احتواء أي جديد في اللغة، فهي قاعدة شاملة لكل الأصناف اللغوية المعطاة وفق قوانين لسانية مضبوطة، وتتضمن سائر الخصائص اللغوية المصاحبة لكل مستوى والتي تعتبر بمثابة أوصاف لسانية للنظام اللغوي، تنطلق هيكلتها من اللسانيات الحاسوبية؛ من الفحص

[1] عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا المرجع نفسه، ص 83.

[2] ، المرجع نفسه، ص ص 83-84.

الدقيق (Dépouillement) لمختلف التراكمات اللغوية الاستعمالية قديما وحديثا وهذا ما يجعل منها أساسا للدراسة اللسانية ومرجعا لتصحيح استعمال اللغة، يسمح بالتنبؤ بما يمكن أن يستجد في اللغة.[1]

1-1-2أثر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في حوسبة اللغة العربية.

أراد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مؤتمر "اللغويات الحاسوبية" الذي انعقد في الكويت عام "1989" أن يعرض على الاختصاصيين الفوارق الكبيرة التي تفترق فيها هذه الأفكار عما هو رائج الآن في اللسانيات الحاسوبية الأوروبية والأمريكية، وأراد أن يبين أيضا ما توصلت إليه اللسانيات الحاسوبية في الوقت الحالي.[2]

إذ ارتأى الأستاذ أن يسمي هذا العلم الجديد باللسانيات الرتابية (الحاسوبية) نسبة إلى الرتابات التي تشتغل على حوسبة اللغة، إذ تتلاقى فيه علوم اللسان بعلوم الحاسوب، وهو ميدان علمي تطبيقي (تابع للسانيات التطبيقية) واسع جدا إذ يشمل:

- الترجمة الآلية.
- الإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية.
- تعليم اللغات بالحاسوب.
- العمل الوثائقي الآلي.
- تنطيق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية .

ويشمل أيضا العديد من البحوث الطلائعية التي تفيد العربية أيما إفادة، لكن الإشكال هنا أن هذه البحوث لا تزال تسير ببطء شديد عند العرب.

[1] عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق ، ص 84.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 230.

وقد كانت رغبة الأستاذ الحاج صالح من خلال هذا المؤتمر هي أن يساهم في حل هذا الإشكال ويقدم اقتراحات تجعل أصحاب الاختصاص يسارعون في مواكبة التطورات التي وصل إليها العالم الغربي في مجال اللسانيات الحاسوبية؛ وهذه الاقتراحات هي[1]:

1- اشتراك الاختصاصيين في هذا المجال الذي ينتمون إلى آفاق علمية مختلفة لأنها هذا النوع من البحوث ينتمي إلى Interdisciplinary Research وتعاونهم في حوسبة اللغة العربية.

2- عدم الاكتفاء فقط بما جاءت به اللسانيات الحديثة لأنها استنبطت من اللغات الأوروبية.

3- التوجه إلى ما خلفه الأولون من تراث علمي عربي يعتمد على الرياضيات والمنطق الرياضي ويقصد هنا ما تركه الخليل وسيبويه وأمثالهما من العباقرة.

ويؤكد الأستاذ دائما علي فكرة العمل الجماعي الذي ينقصنا في عالمنا العربي فلا يطالب أن يكون الباحث عالما في علم الحاسوب واللسانيات في آن الوقت لكن عندما يتعاون عالم الحاسوب مع عالم اللسانيات فهذا هو العمل المفيد، ولهذا السبب اقترح الأستاذ على مسئولي التعليم العالي في الجزائر أن يستحدث ماجستير متعدد التخصصات في اللسانيات، ومن بين الاختيارات الثمانية التي اقترحها ووُوفق عليها هو تخصص "العلاج الآلي للغة"؛ وهو مُتاح للرياضيين والمهندسين في المعلوميات وحاملي الليسانس في اللغة العربية، وكلهم يتلقون دروسا مكثفة في الجذع المشترك في اللسانيات والرياضيات التطبيقية والحاسوبيات، وقد نجح هذا المشروع نجاحا تاما وتمنى الأستاذ أن يعمم في البلدان العربية.[2]

1-2منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 231.

[2] المرجع نفسه، ص 232.

قام الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بنشر بحث بعنوان "منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات" في مجلة التواصل اللساني بالدار البيضاء؛ تناول فيه ما يميز النحو العربي، إذ ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أن الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاونون مع الحاسوبيين في العلاج الآلي للغة؛ هي الانطلاق من نظرية لغوية متماسكة تتميز بوضوح المفاهيم واستقلالها وشموليتها، ومثل هذه النظرية بالنسبة للعربية يمكن أن نجدها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا كل المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الأصيلة التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ومن تلاهما قبل نهاية القرن الرابع الهجري.[1]

وبعد جهد كبير استخلص الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن للخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وغيرهما من العباقرة منهجا رياضيا ومنطقا لسانيا سبق زمانهما وهذا يظهر جليا من خلال تقسيم اللغة العربية وتبويبها وترتيب حروفها فهاهو يعرض هذا المنطق في هذا المقال من خلال :

1-مفهوم الباب ومفهوم المثال.

يعتبر مفهوم الباب من المفاهيم المفاتيح عند سيبويه؛ فهو يطلقه أولا على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية (ض ر ب) (ر ب ض) وكذا على أبنية الكلمة وأوزانها[2]، كما يطلقه على أنواع التراكيب، فهو مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة.[3]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، مجلة التواصل اللساني، المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

ويضرب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مثالا عن هذا التعريف للباب بهذا الرسم:[1]

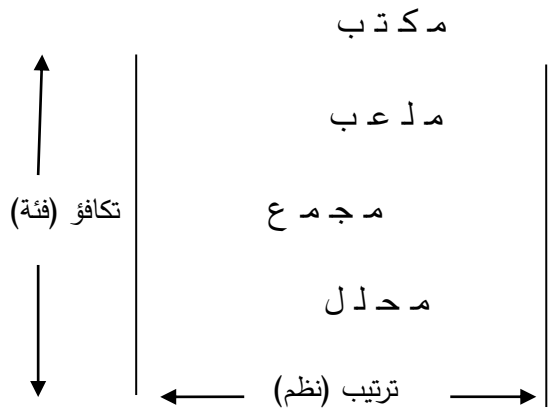

تكافؤ . فئة. ترتيب(نظم) فئة اسم المكان . باب مفعل (مثاله مفعل)[2]

ففي مثال (مفعل) توجد متغيرات هي الحروف الأصول؛ فالفاء تمثل أي حرف صامت من الأبجدية العربية في المرتبة الأولى، والعين ما هو في المرتبة الثانية وهكذا..أما الثوابت فهي الحركات والسكنات والزوائد.[3]

أما بالنسبة للمثال فهو: مجموعة الرموز المرتبة التي تمثل بنية الباب سواء على مستوى المفردات أو التراكيب..ومما يؤكد كون الباب أفراد ذوات بنية مشتركة بالمعنى الرياضي وجود أبواب لا فرد فيها إطلاقا وذلك مثل باب (فِعُل) الذي لم يأت أي لفظ على مثاله في الاستعمال إذا فهو مجموعة خالية.[4]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 319.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، المرجع السابق، ص 27.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 319.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، المرجع السابق، ص 27.

2-مفهوم الأصل والفرع:

وهما نتيجة لتصور تراتبي بين العناصر اللغوية يفيد أن كل كيان لغوي إما أصل يبني عليه غيره أو فرع يبني على أصل أو أصول.[1]

3-مفهوم القياس في النحو العربي.

إن القياس كمصدر لفعل قاس هو تلك العملية المنطقية الرياضية التي سميناها تفريعا من الأصل على مثال سابق؛ أي بناء أو كلام باستعمال مواد أولية واحتذاء صيغة الباب الذي ينتمي إليه العنصر المحدث، أما القياس كاسم فهو هذا التوافق في البناء نفسه، ومن حيث المنطق الرياضي هو تكافؤ العناصر في البنية وهو نتيجة تطبيق مجموعة على مجموعة بعد التقابل النظيري ومن هنا يمكن أن يسمى الباب قياسا.[2]

وقد تفطن الأستاذ الحاج صالح إلى أن العلاج الآلي للغات يحتاج إلى منطق دقيق جدا على قدر الدقة التي تمتاز بها اللوجسطيقا الحديثة، وهذا يقتضي أن تكون النظرية اللغوية التي يعتمد عليها المعالج دقيقة اللغة، ومن ثم مفاهيم لا غموض فيها، إذ حاول الكثير من اللغويين العرب وغيرهم أن يستخرجوها بالنسبة للعربية بتطبيق النظريات البنوية أو التوليدية على العربية بأدنى تكييف وبدون تمحيص لها إطلاقا.[3]

وعن ذكر العالم تشومسكي ونظريته التوليدية التحويلية تجدر الإشارة إلى أن هذا المبحث "حوسبة اللغة" قد اقترن عند اللسانيين المحدثين ب"النحو التوليدي" الذي حرص على رصد الخصائص التصورية للنماذج اللسانية، إذ سعى تشومسكي إلى الكشف عن

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، المرجع السابق ، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

[3] المرجع نفسه ، ص 30.

آليات التوليد في اللغة باعتبارها نظاما معقدا من الناحية البنوية والوظيفية لتفسير الظواهر اللغوية.[1]

ومن خلال هذا القول نستنتج أن لتشومسكي دور كبير في إعطاء أفكار حوسبة اللغة فقد عرَّف بداية الخمسينيات من القرن الماضي بخصائص المستويات التمثيلية للغة (المكون الصوتمي، الصرفمي، المركبي والدلالي) وكيفية انتظامها، ثم حرص تشومسكي بداية من التسعينات على تمثيل البنى اللغوية تمثيلا مجردا بشكل خوارزمي صوري قابل للقراءة يحاكي القدرة اللغوية والكفاية الذهنية.[2]

أما عن اعتقاد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح حول هذا الموضوع فهو أن مثل هذه النظرية الدقيقة موجودة أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل أي ما تركه لنا الخليل وسيبويه وأمثالهما؛ ويتضح ذلك بإعادة قراءة ذلك بدراسة ابستومولوجية دقيقة لمفاهيمهم وتصوراتهم وطرق تحليلهم وليس فقط على ضوء النظريات الحديثة كما فعل بعض الباحثين، دون إسقاط أي تصور آخر كتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها.[3]

ومن خلال عرض هذه العناصر التي حددها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح والتي أراد أن يبين منطق العرب في تسمية الأبواب وتنظيم وترتيب الكلام والعناصر اللغوية فسيبويه مثلا في تقسيمه للكتاب في النحو اعتمد على طريقة منطقية منظمة وأطلق على هذا التكافؤ اسم القياس ويعطي أمثلة عن هذا القياس ليسهل إحصاء الكلام ويدرج كل كلمة داخل فئة معينة فهناك اسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان تشتق من الأفعال الثلاثية أو غيرها وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عبقرية الفكر النحوي والرياضي

[1] ينظر: سرور اللحياني، اللغة الداخلية وحوسبة اللغة النحوية ،المرجع السابق، ص 270

[2] المرجع نفسه، ص 270.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، المرجع السابق، ص 30.

لهؤلاء النحويين ويدل أيضا على عمق تفكير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وتفطنه لهذه العبقرية.

وختاما يمكننا القول إن التطور السريع الذي يعرفه العلم في جميع ميادينه المختلفة يستوجب ضبطها واستعمالها والاستفادة منها عن طريق أجهزة ووسائل عصرية متقدمة تقنية وعلمية مثل الحاسوب الذي يعتبر ذاكرة العصر التي تختزن ما عجزت عنه ذاكرة الإنسان، وإذا كانت دراسة اللغة تستوجب استخدام منهج لساني معين، فإن تخزينه في ذاكرة الإنسان يبدو أمرا صعبا مما يفرض الاستعانة بالحاسوب لمزيد من سرعة العمل العلمي وتحقيق المنهجية والموضوعية.[1]

ثم إن علم العربية أو علم اللسان العربي –هكذا كان يسميه العلماء الأولون– هو فرع من فروع علم اللسان البشري يدرس خصائص هذه اللغة ومميزاتها وضعا واستعمالا وفي جميع مراتب اللغة، من أدناها وهو مستوى الأصوات والمخارج، إلى أقصاها وهو مستوى الكلام المفيد لفظا ومعنى، ويجب أن يستعمل فيه الباحثون نفس الوسائل لتي يلجأ إليها علم اللسان البشري من استقراء منتظم وتحليل أخصائي وإيجاد للمثل والأنماط التي تفسر ظواهر اللغة بكيفية دقيقة ومن تحليل آلي (بالمطياف الالكتروني والراسمات والراديولوجية والرتابات وغير ذلك.[2]

1–3 كيف تتم حوسبة اللغة العربية؟

وقد أيقن المعجميون وغيرهم من العلماء بضرورة اللجوء إلى الوسائل التقنية الحديثة والاستعانة بها؛ لأنها تقوم بالعمل المتقن وفي وقت وجيز ما تقوم به عشرات الفرق في أشهر أو في سنوات، فالربح في الوقت والمال وفي الإتقان باستعمالنا للحواسيب لا ريب فيه، إلا أن ظهور الحواسيب وتدخلها فيما لم يكن له حساب يوجب علينا أن نحدد بالضبط ما هي

[1] محمد علي الزركان، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، مجلة التواصل اللساني، المرجع السابق، ص 31.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح، علم اللسان الحديث، مجلة الفيصل، ع2، 1977 ص 34.

أنواع الأعمال التي يمكن أن يكفينا إياها الحاسوب وكيف يتم ذلك؟ وما عسانا أن نطلب منه (الحاسوب) مما يستطيع القيام به بسهولة وبسرعة مما كنا نعجز عنه تماما؟

وأكبر فضل يكسبه الحاسوب هو أن له القدرة أن يدمج الآلاف من الكتب وأي نوع آخر من النصوص وجعلها كنص واحد بفضل بعض البرمجيات، كما يستطيع أيضا أن يجري أي علاج وأي بحث عليها جميعا، أو على أي جزء منها كمختلف أنواع الأسئلة عن وجود شيء وبأي صيغة كالفهرسة والحصر والإحصاء وغيرها.[1]

و يمكننا تحويل المدونة (قاعدة المعطيات اللغوية) والتصفح لها آليا من خلال :

1-حصر كل السياقات لكل كلمة وردت فيها أو جزء منها مع ذكر المرجع الكامل لها أي فهرستها.

2-حصر جميع العبارات الخاصة، لا المفردات فقط، المتآلفة الألفاظ بسياقات واحدة منها وذكر المرجع الكامل لها، ففي العربية مثلا "شد أزره" لا" شد ظهره" وهو ما يعبر عنه بالأمثال أو ما يجري مجراها كما ذكرها سيبويه.[2]

ويستطيع الحاسوب أن يجيب على الفور عن أي سؤال يخص وحدة لغوية معينة أو عدة وحدات في وقت واحد لفظا ومعنى ومن أي جانب كان، أما عن كيفية جمع المدونة وإنشائها فيكون بمراعاة التنوع الكافي والشامل لمحتواها وتغطية كل ميدان من ميادين المعرفة كالعلوم الدقيقة، العلوم الطبيعية، العلوم التطبيقية والتكنولوجيا...وغيرها .[3]

ويمكن أن يعتمد المحرر للمدخل بهذه الوسائل:

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج2، المرجع السابق، ص 167.

[2] المرجع نفسه، ص 186.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج2، المرجع السابق، ص ص 168-169.

1-استخراج المعاني من النصوص بحصر كل السياقات وجمعها في مجموعة جزازات تخص الكلمة الواحدة (أي المدخل) وتكون مرتبة ألفبائيا مستخرجة من المدونة عصرا بعد عصر وتسمى عند معجميي القرن الواحد والعشرين بـ (ملف اللفظة) " Words file"أو "Dossier de mots".[1]

2-استخراج العدد الكافي من السياقات التي لابد من ذكرها كشواهد.

3-يمكن أن يدل في كل مدخل على درجة شيوعه ودرجة تردده على الألسن (المدونات المنطوقة) أو على الأقلام (المدونات المكتوبة).[2]

وقد وضع بعض المهندسين العرب منذ زمن برمجيات خاصة لإلقاء أسئلة على المدونات المحوسبة التي جمعوها كالنص القرآني وكتب الحديث، أما المشروع العربي الكبير المسمى "الذخيرة العربية" فقد تم وضع برمجية خاصة أيضا كبيرة القدرة إذ تمكن الباحث من إلقاء عدد كبير من الأسئلة المتنوعة على الذخيرة، إذ تظهر هنا الفائدة العظيمة للمسح الكامل للسياقات لمعرفة جميع المعاني للكلمة الواحدة (في عصر معين) لأن هذا العلم كما وصفه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بالموضوعي مائة بالمائة، يستخرج بالاستقراء الكامل من المعطيات المستعملة بالاستعانة بالحواسيب.[3]

ولا يمكن فصل اللسانيات الحاسوبية عن "صناعة اللغة" باعتبارها "هندسة لغوية" تجمع إطارين علميين- سمتها التكامل- في موضوع واحد وتجمع بين منهجين في تشكيلة تحليلية تفسيرية واحدة؛ المنهج التجريدي، الرياضي الصوري، المعمول به في اللسانيات المعاصرة ومنهج متوالية طرفيات الوحدات الحديثة المنتهية "Suite d'Automates finis" ؛ يتم بها

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج2، المرجع السابق ، ص 170.

[2] المرجع نفسه، ص 170.

[3] المرجع نفسه، ص 170-171.

تفريع الشارات الضوئية في ذاكرة الحاسوب، داخل نطاق الأركان الثلاثة (التخطيط، التنظيم، البرمجة).[1]

1-3-1 تدبير قواعد بيانات اللغة العربية:

تعد قواعد البيانات للغة العربية الأساس المركزي للتحليل والتوليد الصوريين شرحا وتفسيرا للمعطيات الموجهة نحو البرمجة الآلية، وبالتالي المعالجة الآلية للغة العربية وقاعدة المعطيات هي المجموعات التصنيفية بناء على عنصري التطابق السلوكي للتصرف اللغوي، وبناؤها يشكل تحليلا أكسوماتيكيا لمعطيات الإدخال.[2]

إن البناء المعطياتي للنظامين الصوتي والصرفي قد بذل فيه الكثير من العمل وأفضى إلى نتائج مهمة في وتوصيف معطيات اللغة العربية، لكن المستوى التركيبي ظل غائبا عن التوصيف اللساني الحاسوبي.[3] كما تجدر الإشارة إلى أن النظام التركيبي للغة العربية لا يختلف عن معطيات الأنظمة التركيبية في باقي اللغات الأخرى إلا فيما تفرضه خصائص العربية من حيث الترتيب وهي بنيات محفوظة الرتبة (فعل فاعل مفعول)[4].

لكن بعد اكتشاف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح لعبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه أو فيما أسماه "النظرية الخليلية"؛ اختلف الأمر وركز على الجانب النحوي إذ تجري الآن في مركز البحوث اللسانية لترقية اللغة العربية بالجزائر بحوث مبرمجة في شتى

[1] عبد الواحد دكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق، ص 83.

[2] المرجع نفسه ص 91.

[3] المرجع نفسه، ص 91.

[4] المرجع نفسه، ص 92.

الميادين؛ كطرائق تعليم اللغات، العلاج الآلي للغة، وأمراض الكلام وكلها تبحث عن استثمار النظرية الخليلة الحديثة ولا تهمل النظريات العلمية الأخرى إلا التي تجاوزها الزمن.[1]

ويعتقد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن للنظرية الخليلية دورا حاسما في ميدان العلاج الحاسوبي للغة العربية، وقد قدم بحثا بعنوان: "دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية" في الندوة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العربية المنعقدة في عمان عام 2003، تناول فيه أهم مفاهيم النظرية الخليلية وكيف تستغل آليا[2]؛ وهو دور كل النظريات التي تستجيب لما يتطلبه هذا العلاج من الوضوح والتماسك والعمق في تمثيل الظواهر والأحداث اللغوية، كأفعال الإنسان الكلامية، وهذا العلاج الحاسوبي سيكون لجميع النظريات كالمحك تختبر له صحتها ومدى نجاعتها.[3]

1-3-2أهم مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة:

1-مفهوم الانفصال والابتداء كمنطلق:

إن الصياغة المنطقية الرياضية للنظريات تستلزم أن تستجيب هذه النظريات لما تتطلبه هذه الصياغة وهو أن تكون واضحة بالمعنى المنطقي "Explicit" أي أن تكون تحديداتها الأولية مكتفية بنفسها كأن نقول: " إن الجملة المفيدة هي ما يتركب من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، أما في النظرية الخليلة الحديثة فلا ينطلق فيها من مفهوم الجملة المفيدة "الكلام المستغني" عند سيبويه، بل من مفهوم "ما ينفصل ويبتدأ". ومثال ذلك: "زيدُ" أو "أنا" في

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص 94.

الإجابة على السؤال: من هذا؟ ومن خرج؟..وهذا المفهوم يوجد في مكان يتقاطع فيه الكلام كلفظ والكلام كخطاب..[1]

2-التفريع من الأصول عوض التحليل بالتقطيع:

إذ إن الأصول العربية يمكن أن تفرع منها وحدات أخرى وهذا التفريع يكون بالزيادة على الأصل بعد حصر الأصول طبعا، وهذا أقرب إلى الصياغة الرياضية من تحليل الجمل بعملية التقطيع المتسلسل والاستبدال كما هو الحال عند الوظيفيين ثم جاء تشومسكي واستطاع أن يصوغها على شكل شجرة وهو مفهوم منطقي رياضي، وهذا عمل **تحليلي-تقطيعي** عند تشومسكي يختلف عما جاء به الخليليون إذ عملوا على عكس ذلك **تركيب-تفريعي** وهي الزيادة على الأصل إذ تخضع لقواعد معينة. [2]

3-مفهوم العمل والعامل والمعمول في مستوى التراكيب:

لا يمكن حصر التراكيب في أي لغة على أنها ألفاظ متتالية لا تجمعها علاقة منطقية ففي اللغة العربية مثلا تجتمع الألفاظ بمستوى أكثر تجريدا -ما فوق اللفظة- وأطلق عليها: العامل، المعمول الأول، المعمول الثاني والمخصص؛ وقد أولى له الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه أهمية كبيرة وهذا ما ركز عليه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في نظريته الخليلية.[3]

كما بيَّن الأستاذ الحاج صالح أيضا أن الصيغة الخليلية يمكن أن ترسم على شكل شجرة مثل شجرة تشومسكي بفوارق كبيرة بطبيعة الحال، لأن التفريع عند العرب يتعلق بالعامل ومعموليه والمخصصات حسب البنية التي تبنى فيها، ثم بيان لمحتوى كل كيان

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص 87.

تركيبي (ع/م1/م2/خ) في آخر التوليد فيجب ألا يختلط الأمر على القارئ، وما الشجرة هنا –يضيف الأستاذ– إلا رسم يسهل على المعالج الآلي عمله ليس إلا.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 230.

إذا من خلال هذا العرض لرأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يتبين لنا أنه أراد أن يحاكي ما وصل إليه اللغويون الغربيون في تفريعهم للكلام؛ فتشومسكي مثلا يجعل الكلام على شكل شجرة، وهنا الأستاذ نبه إلى خصوصية اللغة العربية وبناء كلامها على العامل وما يتبعه من معمولات –إن صح القول– وهذا تحسبا لجعل هذه اللغة تعالج آليا بالحاسوب.وهذا ملخص ما تناوله ليبين خصائص النظرية الخليلية[1].

∅	زيد	قائم	
إن	زيدا	قائم	هنا
كان	زيدُ	قائما	أمس
حسبت	زيدا	قائما	غلطا
أعلمتُ عمراً	زيداً	قائما	حالا
أكرم	زيد	عمرا	إكراما
أكرمـ	تُ	عمراً	كثيرا
العامل	المعمول1	المعمول2	مخصص

الأصل ←

نواة التركيب — الزوائد على النواة

إن أهم الملاحظات التي ذكرها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فيما يتعلق بهذا الشكل المبين أعلاه هي كالآتي:

- إن الأصل يتحدد بعدم الزيادة عليه عامة.[2]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 88.

[2] المرجع نفسه، ص 88.

- إن العامل هو العنصر الذي يتحكم في التركيب الكلامي ويؤثر فيه بل هو المحور الذي ينبني عليه وقد يكون مساويا للصفر (الابتداء) كما أطلق عليه الخليل وسيبويه؛ إذ يعمل العامل في المعمول الأول والمعمول الثاني لفظا ومعنى.
- إن العامل والمعمولان والمخصص هي الوحدات المجردة التي تبنى عليها أبنية الكلام (التراكيب)، وليست اللفظة وحدها أو تركيبها مع ألفاظ أخرى.[1]
- لكل تحويل أو تفريع عملية نظيرة[2] له. كما يمكن أن ترد كل وحدة في هذا المثال "المثال المولد" إلى ما كنت عليه فيما سبقها.[3]
- المخصص: هو زيادة على المجموعة النووية: عامل، معمول1، معمول2، وليس زيادة على الأصل الذي هو "زيد قائم".[4]
- يمكن أن يشار إلى هذه الكيانات وعلاقاتها بعضها ببعض بهذه الصيغة:[5]

[(ع ⟵م1)± م2] ±خ.

(ع=العامل، م1=العامل الأول، م2=العامل الثاني، خ=المخصص، (م1← م2) هو زوج مرتب يشير إلى أن م1 لا يمكن أن يتقدم أبدا على ع.[6]

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 89.

[2] النظير هنا ترجمة حديثة لمفهوم "Symétrique" عند الرياضيين، وكان له معنى أعم عند القدامى من علمائنا وهو المكافئ بالتناظر، المرجع نفسه ، ص 89. (الهامش).

[3] المرجع نفسه، ص 89.

[4] المرجع نفسه، ص 89.

[5] المرجع نفسه، ص 89.

[6] مفهوم العامل لم يعرفه الغربيون بعد، أخذوه من العرب عند اطلاعهم على ما ترجم إلى اللاتينية في القرون الوسطى، وسموه بال "Rector" أو "Regens"، وهو "الوالي" عند الرومان، ولم يكن له معنى النحوي عند نحاتهم ولا نحاة اليونان قبل ذلك، وأول من تكلم عن ال Regens هو النحوي الفرنسي "Petrus Helia" في القرن الثالث عشر الميلادي، المرجع نفسه ، ص 90.

إن عرض أهم مفاهيم النظرية الخليلية التي استقاها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح؛ تبين دور هذه النظرية الحديثة وأثرها في النهوض بالبحوث الحاسوبية للغة العربية كما يمكننا أن نتجاهل المنطلق الذي ساهم في تحليل ما جاء به الخليل وسيبويه وهو النموذج التوليدي التحويلي لتشومسكي في التفريع وبيان الاختلاف بين اللغة العربية القائم على العامل ومعموليه (تركيبي–تفريعي) وبين اللغات الأخرى الذي يعتمد على التحليل التقطيع الذي صوغه على شكل شجرة.

1–3–3إعادة الاستثمار المنطقي لتحليل التراث اللغوي:

يعد التراث العلمي العربي الرافد الأساسي لمختلف المقاربات اللسانية المعاصرة والاعتماد عليه ركيزة من الركائز التي تعتمدها الدراسات اللسانية البنوية والتجريدية على السواء، فهو يوفر الرافد الأساس لقاعدة معطيات تشكل البنية التحتية للتناول المعاصر لقضايا اللغة العربية، لكن مقارباته التقليدية أخفقت في إعادة هيكلة معطياته وهندستها بالشكل الذي يجعله قابلا للعمليات البرمجية الهندسية[1].

وقد عملت الأبحاث الهندسية على مسار تطور أجيال الحاسوبيات، على ردم هوة الفوارق بين هذين اللغتين (اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية) كما عملت على تطوير لغات البرمجة وجعل برامج الاستغلال قادرة على قراءة والتعرف على أي نوع من هذه اللغات.[2]

إذ إن لغة البرمجة هي اللغة الصورية المترجمة لواقع اللغة الطبيعية التي يمكن للآلة فهمها وقراءتها والتعامل معها، وتتبني أساسا على وحدة الخوارزم لكل تعامل حاسوبي مع المعطيات اللغة الطبيعية، بل الوحدة الجوهرية لكل تعامل مع الحاسوب؛ فهو أساس كل

---

[1] عبد الواحد دكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا،المرجع السابق، ص 88.

[2] المرجع نفسه، ص 85.

برامج المعلوميات، والخوارزم هو لغة افتراضية، قابلة للتشفير، وضعت لحل مشاكل التطبيقات المرتبطة بلغة البرمجة بدون قيود.[1]

2-قضايا المعجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

تعد الصناعة المعجمية من المواضيع الأساسية التي تحتل مكانة خاصة في الدراسات اللغوية قديما وحديثا، وأهم الحقول اللسانية التطبيقية، إذ تعالج جملة من مفردات اللغة شرحا واشتقاقا، دقة ووضوحا مزيلة عنها الغموض والإبهام تدون وتخزن في معاجم لغوية وأخرى مصطلحية، حيث يقاس قيمة كل معجم بما يوفره من تغطية شاملة للمفردات، وبمدى قدرته على أداء الوظيفة التعليمية التربوية والثقافية والحضارية.[2]

ويعود الاهتمام بالتأليف المعجمي إلى تراثنا العربي، فبداياته مبكرة عند العرب، أي منذ الشروع في جمع اللغة العربية والتأليف فيها، فظهرت صناعة معجمية حديثة متخصصة تسعى إلى وضع أسس نظرية وعلمية تعتمد عليها في بناء معاجم بمختلف أحجامها ووظائفها وغاياتها، وعليه برع علماء العربية في وضع المعاجم تتضمن ألفاظ عربية ودلالاتها واستعمالاتها حفاظا على لغة القرآن الكريم من الضياع واللحن والعجمة.[3]

---

[1] عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، المرجع السابق ص 85.

[2] وهيبة تعشاشات، دور المعجم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، المعجم المختص أنموذجا-دراسة وصفية تحليلية-أبحاث المؤتمر الدولي الثالث العربية للناطقين بغيرها، تح: هاني إسماعيل رمضان، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، 2021،ص 348.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-1منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين.

2-1-1تعريف المعجم.

2-1-1-1 لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور:" مادة "عَجَمَ" أن المعجم من عَجَمَ: والعُجْمُ والعَجَم: خلاف العُرْب والعَرَب، أَعْجَمتْ الكتابَ:وهو خلاف قولك: أَعرَبتُه، وقالوا حروف المُعجَم فأضافوا الحروف إلى المعجم، والعَجْمُ: النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان، وحروف المُعجم هي الحروف المُقَطعةُ من سائر حروف الأمَم: رجل أعجم وامرأة عجماء، إذا كان لا يفصحان ولا يبينان الكلام".[1]

ويقول أبو الفتح عثمان بن جني في باب السلب:" ألا ترى أن تصريف (ع ج م) أينما وقعت في كلامهم إنما هو (الإبهام) وضد البيان، ومن ذلك العجم لأنهم لا يفصحون".[2]

والمعجم اسم مفعول ومصدر ميمي واسم مكان في الفعل الرباعي (أَعجَم) ويذهب نفر من الصرفيين إن المعجم مصدر بمنزلة الإعجام كما نقول أدخلْتُه مُدخل صدق،وأخرجتُه مُخرَج خير؛ أي إدخالا وإخراجا.[3]

وقد أطلق على نقط الحروف لفظ الإعجام لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض وهي: ب، ت ث، خ، ج...الخ، وسمي المعجم معجما، إما لأنه مرتب على حروف المعجم، وإما لأنه يزيل إبهام المفردة وغموضها.[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م12،ص 385 وما بعدها.

[2] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2،ج3، بيروت، لبنان، ص 75.

[3] عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، ط2، عمان ، 2014، ص 30

[4] وهيبة تعشاشات، دور المعجم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، المرجع السابق، ص 350.

2-1-1- 2اصطلاحا:

ويعرف الدكتور عبد القادر عبد الجليل المعجم على أنه "مرجع يشتمل ثلاثة ضروب:

الأول: وحدات اللغة مفردة أو مركبة.

الثاني: النظام التبويبي.

الثالث: الشرح الدلالي.

وعلى هذه المرتكزات الثلاثة يقوم المعجم بشكله العام من حيث كونه وعاء يحفظ متن اللغة، وليس نظاما من أنظمتها، ذلك لأن المعنى المعجمي Lexical Meaning هو جزء من النظام الدلالي العام للغة، والمرجع في التزود وإغناء الذهن الإنساني حينما تستجد الحاجة وتمليها متطلبات الفكر.[1]

وقد مرَّ المعجم العربي خلال تاريخه الطويل عبر خمس مراحل وهي:

- مرحلة الترتيب الصوتي ونظام التقليبات الخليليين.
- مرحلة النظام الألفبائي الخاص.
- مرحلة نظام القافية.
- مرحلة النظام الألفبائي العادي.
- مرحلة النظام الألفبائي النطقي.[2]

[1] عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، المرجع السابق، ص 33.

[2] إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 4.

2-1-2أول معجم عربي كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

قد أشار الخليل في مقدمة العين إلى اهتدائه إلى عمله الكبير؛ وهو في هذا العمل يضع البداية الأولى لعلم الأصوات في العربية، ثم إن مقدمته للكتاب على إيجازها؛ أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول وجاء ترتيب الأصوات على النحو التالي:

"ع ح هـ خ غ،ق ك،ج ش ض، ص س ز، ط ث ذ، ر د ن، ف ب م، و ا ي همزة"[1].

أضف إلى ذلك فإن هذا المعجم عند الذي اخترعه الخليل بن أحمد الفراهيدي جاء بأفكار علمية عظيمة على غرار "علم العروض" وذلك يتجسد في المفاهيم التي ظهرت في الرياضيات باسم "العاملي" "Factorial" و"الزمرة الدوارة" "Cyclic Group" وهما الفكرتان اللتان بني عليهما معجم "العين".[2]

وقد جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي وزملاؤه "القياس" مفهوما رياضيا دقيقا يشبه المفهوم الحديث "التكافؤ"، وهو ما يطلق عليه الآن ب"الإيزوموفيزم"Isomophism" ...وقد تكونت الآن حلقة من الباحثين بعد أن تنبهوا لهذه العبقرية يواصلون ما بدأه الخليل وأتباعه أمثال: أبو عمرو بن العلاء وابن جني والسهيلي والرضي الاستربادي[3]إذ يحاول هؤلاء توضيح أفكاره وقد أطلق عليهم "اسم المدرسة الخليلية"[4]

---

[1]الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص ص 9-10.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 240.

[3] بعد أن أصاب الفكر العربي الجمود والضعف وذلك بعد القرن الرابع الهجري وأصبحت تلوح بوادر التقليد ، ولم يعد الفكر اللغوي العربي فكرا إبداعيا كما كان في عصر الخليل وسيبويه، إذ ظهرت الشروح (الألفية، والأجرومية)، لكن الرضي الاستربادي والسهيلي شذا في عصر التقليد، [3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 281.

[4] المرجع نفسه ، ص 241.

2-1-3حصر المفردات في معجم العين:

إن عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤلف أول معجم في اللغة العربية الذي يتميز بمنهجه الرياضي والذي أراد أن يجمع مفردات العربية بضرب من الحساب المخترع على غرار الأفكار والمنهج والتحاليل التي تحسب له..قد مكنته من إقامة نظام من العمليات حصر فيها المفردات وأوزان الأشعار وأبنية الكلم وما اخترعه في علم موسيقي الشعر واختراعه لخوارزميات –حسب تعبير معاصرينا– للوصول إلى نتيجة معينة واختراعه لرسوم تصور العمليات المرتبة وهي الدوائر ذات الاتجاهين التي اشتهر بها، ولجوئه إلى رموز الفاء والعين واللام المستعملة في التصريف، وهذا النوع من الحساب الذي يمكن من حصر مفردات العربية لم يعرف إلا في عصرنا هذا، وهو باب من أبواب الجبر التركيبي"Combinatory Algebra" وتسمى صيغته الرياضية بالعاملي "Factorial".[1]

فقد جاء في كتاب العين ما يلي:" هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري رحمه الله من حروف: أ ب ت ث وما تكلمت به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم ولا يخرج منها عنه شيء".[2]

وقد حكا عن ذلك ابن النديم في الفهرست، وابن دريد في جمهرته، قال:" إذا أردت أن تؤلف بناءً ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أَدِرْ دارة فوقِّع ثلاثة أحرف حواليها ثم فُكَّها من عند كل حرف يُمنَة ويُسرَة حتى تُفَكّ الأحرف الثلاثة فيخرج من الثلاثي ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية، فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا عنه، وأنا مفسر لك ما يرتفع من الأبنية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية إن شاء الله بضرب من الحساب واضح وبالله التوفيق.[3]

---

[1]ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص ص 220-221.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المصدر السابق، ص 47.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 221.

وجاء في مقدمة كتاب العين ما يلي:"اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين، نحو قد، دق، شد، ودش، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة، وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها، وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها يكتب مستعملها ويلغي مهملها والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها، وذلك أن حروفها وهي خمسة تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مائة وعشرين يستعمل أقله ويلغى أكثره".[1]

وقد اصطلح الرياضيون المحدثون على بعض الرموز للدلالة على هذا النوع من العمليات، فما يسمى العاملي يرمز إليه بالعدد متبوعا بنقطة تعجب وذلك مثل:[2]

$$2=2\times1=i2$$

$$6=3\times2=3\times i2=3\times2\times1=i3$$

$$26=4\times6=4\times3\times2\times1=i4$$

$$120=5\times24=5\times4\times3\times2\times1=i5$$

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المصدر السابق، ص 59.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 222.

وهذا الحساب عند من جاء بعد الخليل هو قسم واحد مما سموه ب "قسمة التراكيب" وهي تقابل تماما مفهوم "Combinatory" وقد أحصى الخليل بن أحمد في كتابه العين المواد الأصلية بناءً على عدد الحروف العربية وهي ثمانية وعشرون حرفا وعلى هذه الصيغة الحسابية[1]:

الثنائي:|28^2=28×27=756

الثلاثي:| 28^3=28×27×26=19.656

الرباعي:|28^4=28×27×26×25=491.400

الخماسي:|28^5=28×27×26×25×24=11.793.600

فهذه الأعداد يدخل فيها ما لم يستعمله العرب لأنها كانت احتمالات القسمة المذكورة أعلاه، وهكذا استطاعوا أن يجمعوا كل الجذور التي تتكون منها الكلمات العربية، أما التمييز بين مستعملها ومهملها فقد لجئوا في ذلك إلى ما سُمع ودُون ثم استخرجت منه الألفاظ المسموعة وبُوّبت في معجم العين كما تصورها الخليل بحسب ترتيب مخارج الحروف وانطلاقا من حرف العين.[2]

كما أن ابن فارس (ت395) في كتابه "مقاييس اللغة" تمكن من جمع كل التقاليب التي أحصاها الخليل –الجذور– وترتيبها على حروف المعجم مع بيان لكل مدخل من هذه التقاليب وجودها أو عدمه في الاستعمال، وبيان المدلول العام لكل تقليب مستعمل، وذكر ما يدخل فيه من المفردات، واستنبط المدلول باستقراء كل المفردات الداخلة في كل تقليب وهذا عمل رائع حسب وصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 222.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 223.

[3] المرجع نفسه ، ص 223.

2-2 أنواع المعاجم الحديثة عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح .

إن صناعة المعاجم في العصر الحديث تختلف في منهجها وطريقتها وأدواتها بما كان رائجا في عصور مضت وقد تمثلت البدايات العربية في صناعة المعاجم الحديثة في ترجمات لمكانز أجنبية، مثل قائمة المصطلحات العربية الصادرة عن مركز التنمية الصناعية للدول العربية عام 1970، وهو ترجمة للطبقة الأولى من مكنز Macro Thesaurus حيث أعطيت هذه الترجمة عنوان (المكنز الشامل في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية)[1].

كما قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإصدار (مكنز علم المكتبات والمعلومات) عام 1980، وهو من بواكير المكانز العربية، وهناك مكانز أخرى مترجمة، ثم نشرت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المكنز الإسلامي)عام 1403 وهو معد باليد[2].

ثم مكنز الجامعة العربية في تونس عام 1987؛ ثلاثي اللغات عربي-انجليزي-فرنسي وهو مترجم لكنه محوسب وهناك مكانز تحت الإعداد مثال: مكنز الفيصل الذي يشرف عليه مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض، ومكانز كثيرة لا يمكن حصرها.[3]

والذي سنتناوله في هذا الجزء من البحث هو أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها كما تناوله الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح؛ إذ تختلف المعاجم الحديثة بحسب الأغراض التي حددت لكل نوع منها، وذلك من حيث بنيتها وأساليب وضعها، لأن كل نوع له طريقته الخاصة في ضبط المفردات وتحريرها والغرض من تأليفها، وأراد الأستاذ في هذا المقال الذي قدمه في ندوة "المعجم العربي" المنعقد في دمشق عام2001، بعنوان "أنواع المعاجم الحديثة

---

[1] عبد الجبار عبد الرحمن العبد الجبار، استخدام نظام المستشار في بناء المكانز العربية، مجلة التواصل اللساني، ص 79.

[2] عبد الجبار عبد الرحمن العبد الجبار، استخدام نظام المستشار في بناء المكانز العربية، المرجع السابق، ص 79.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومنهج وضعها" أن يشير إلى أن المعاجم العربية الحديثة لم تختلف كثيرا عما كانت في القديم؛ إذ تناسى صناعه أن الركيزة

الأساسية حديثا هي أن يعكس المعجم الاستعمال الحقيقي للغة.[1]

2-2-1 أنواع المعاجم الحديثة:

1-المعجم اللغوي العام ومشكلاته:

وقد ظهرت في عصرنا المعاجم اللغوية العامة وتتصف أكثرها بما أدخل فيها من تجديد من جميع الجوانب، وذلك مثل الترتيب وإدخال المولد أو الأعجمي الشائع مما يدل على المسميات الحديثة من الحياة العامة والمصطلحات العلمية، كما أن اهتمام المؤلفين اتجه منذ زمان قريب إلى اللغة التي يجب أن تعلم الطفل العربي في زماننا؛ كالمعاجم المدرسية أو الطلابية وتحديدا مثل: منجد الطلاب، المعجم المدرسي السوري والوجيز.[2]

فيكون الترتيب في هذا النوع من المعاجم فقد حافظ أكثر المؤلفين على الترتيب التقليدي؛ الترتيب الألفبائي لأصول المفردات، ويذكر الأستاذ عبد الرحمن لهذا النوع من المعاجم جانبان أحدهما إيجابي، والآخر سلبي؛ أما الإيجابي فهو التسهيل في العثور على المفردات خاصة للتلاميذ الذين لم يكتسبوا المعارف الكافية في قواعد والاشتقاق والتصريف، وأما السلبي فيتمثل في عرقلة التعمق في معرفة العربية.[3]

2-قواعد المعطيات النصية كمرجع في تأليف المعاجم:

أراد الأستاذ عبد الرحمن أن يبين في هذا العنصر أهمية الوسائل الحديثة الخاصة بالحاسوب التي تمكننا من تدوين النصوص التي يتراءى فيها الاستعمال المعاصر للغة

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ، المرجع السابق، ص 116.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 116.

[3] المرجع نفسه، ص 117.

العربية الفصحى حاليا وتطوراتها عبر الزمن لذا اقترح على الجهات المعنية مشروعا قوميا وهو "مشروع الذخيرة العربية" وهو أنترنيت عربي أو–قاعدة من المعطيات النصية على حد تعبير المهندسين– يكون له موقع في شبكة الانترنيت العالمية وسيجمع اللغة العربية استعمالا وتطورا عبر العصور[1]، وسنخصص له مبحثا مستقلا نظرا لأهميته.

3–المعجم الخاص بالطفل العربي:

ألفت العديد من المعاجم المدرسية الموجهة للأطفال من قبل الدارسين والمؤسسات، ووصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هذه المحاولة ب"الطيبة"، غير أنه عاب على مؤلفيها عدم اعتمادهم على المقاييس العلمية المعمول بها في هذا الميدان، إذ إن أكثر المعاجم الخاصة بالطفل اعتمدت على المعاجم القديمة والتفات يسير لما جد في هذا المجال من آلات ومفاهيم علمية وتقنية، بالإضافة إلى عدم اعتمادها على جرد النصوص المحررة أو المنطوقة، والاكتفاء بالحدس والشعور الذاتي بما هو شائع من الألفاظ.[2]

ثم يذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مثالا عن هذا النوع من المعاجم وهو ما أنجزه بعض العلماء في المغرب العربي في السبعينات سموه:"الرصيد اللغوي الوظيفي"...، إذ حدد أصحاب هذا المشروع الأهداف المرجوة منه:"إن الرصيد من اللغة التي يجب أن يُعلَّم للطفل هو مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سن معينة من عمره، حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة، ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب يتعلمها في هذه المرحلة"[3].

وقد اعتمد هؤلاء المؤلفين في استخراج هذا المعجم على هذه المبادئ وهي:

---

[1] المرجع نفسه، ص 119.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 120.

[3] المرجع نفسه، ص 120.

- يجب الانطلاق من الواقع المشاهد ومن رصده.
- أن يكون المتعلم (الطفل) هو المنطلق الأساسي مع مراعاة ما يحتاجه لمواجهة الحياة.
- أن يكون هذا الرصيد وسطا بين الحد الأقصى للاستطاعة الاستيعابية لدى المتعلم والحد الأدنى منها.

ولهذا أُخذ بعين الاعتبار ثلاثة أنواع من المعطيات وهي:

- الكتب المدرسية.
- عينة من كتب التلاميذ.
- ما يستعمله الأطفال في مخاطباتهم اليومية مع الصغار أو الكبار[1].

وأشار الأستاذ الحاج صالح أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد وضعت رصيدا مماثلا بنفس الطريقة في كل البلدان العربية بدون استثناء.[2]

4-المعجم التاريخي للغة العربية.

تناول الأستاذ الحاج صالح في هذا العنصر محاولة المستشرق "فيشر" في وضع المعجم التاريخي الذي قام من خلاله تتبع كل كلمة وتطور معانيها عبر العصور، بعد إثبات أصلها أو أنها دخيلة، وكذلك بيان أول استعمال لها وآخره، وقد كثر الإنتاج لهذه المعاجم بالنسبة إلى اللغات الأوروبية بعد ازدهار اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر، وهذا عمل صعب بما كان خصوصا إذا كان هذا العمل فردي والحل هنا كما يؤكد الأستاذ دوما ب "العمل الجماعي" ثم الاستعانة بالعدد الكافي من الحواسيب وما يحتاج من آلات القراءة

[1] لهذا الرصيد فضل في إدخال ألفاظ مثل: "المعامة" للمايو، ولفظة "لُمجة" للأكل الخفيف وهي موجودة بالفعل في الكتب المدرسية في دول المغرب العربي، وتمنى الأستاذ أن ينشر هذا الرصيد بالتعريفات والصور، ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 121.

[2] المرجع نفسه ، ص 116.

الآلية وبرمجيات مناسبة تماما مثل فكرة مشروع الذخيرة العربية التي تسهل على الباحثين إنجاز المعجم التاريخي الخاص بالعربية.[1]

5-معاجم المعاني:

إن هذا النوع من المعاجم قد ابتكره علماء العربية قديما وقد أورد الأستاذ الحاج صالح منها ما يلي: "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، و"تهذيب الألفاظ" لابن السكيت، "الألفاظ الكتابية" للهمذاني، "متخير الألفاظ" لابن فارس،"المخصص" لابن سيده، و"فقه اللغة" للثعالبي وغيرها، وقد لا يصح إطلاق لفظة معجم عليه لأنه لم يرتب ألفبائيا كلها تحتاج إلى إعادة الفهرسة آليا للاستفادة منها.[2]

6-معاجم العلوم والتكنولوجيا.

إن هذا النوع من المعاجم -كما ذكر الأستاذ الحاج صالح- تصدر منها كل سنة العشرات في المصطلحات العلمية والتقنية، وقد لاحظ الأستاذ الفوضى الكبيرة في وضع هذه المصطلحات العلمية واختلافها من بلد لآخر على الرغم من تأسيسهم لمؤسسات توحيد المصطلح كاتحاد المجامع العربية، ومكتب تنسيق التعريب.[3]

أما عن حل هذه المشكلة فقد اقترحه الأستاذ عبد الرحمن ويتمثل في:

أ- أن يتم إنجاز الذخيرة اللغوية العربية في أقرب وقت لتكون في المتناول.

ب-أن يتخذ جميع وزراء التعليم العالي والتربية قرارً في شأن المصطلحات على مستوى جامعة الدول العربية.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 121-122.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 123.

[3] المرجع نفسه، ص 123.

[4] المرجع نفسه، ص 123.

2-2-2 مقترحات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في تطوير المعجم الحديث:

وأقدمُ بحثٍ قدمه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بعنوان :"قضية المعجم العربي والمصطلحات (كيفية تطوير البحث العلمي في اللغة لمضاعفة مردودها التبليغي)" عام 1976، إذ نشرت هذه المقالة في مجلة الأصالة وقد عرضه على ندوة وزراء التربية المغاربة؛ تناول فيه كيفية علاج القضايا المتعلقة باللغة العربية، وقد ساهم هذا البحث في تحقيق بعض المشاريع التي نبه إليها الأستاذ في ذلك الوقت.[1]

وأهم ما قد تناوله الأستاذ في بحثه هذا هو إصراره الدائم على إعطاء المقترحات والحلول للنهوض باللغة العربية عموما، وجمعها وحوسبتها خصوصا، وتأكيده دوما على ضرورة العمل الجماعي لاسترجاع مكانة اللغة العربية وارتقائها إلى مصاف اللغات الواسعة الانتشار كالانجليزية مثلا، وأما الانجازات التي يحث عليها فهي:

1- إعداد نمط من الكتابة تندمج فيه علامات الشكل، وتحترم فيه خصائص العربية ثم إقرارها على أعلى مستوى من الوطن العربي ثم تحديد أجل لتطبيقها في جميع البلدان العربية.[2]

2- إعداد الرصيد اللغوي في جميع المستويات من أدنى عدد من المفردات والتراكيب العربية الحية التي يحتاجها المتكلم بالعربية في حياته اليومية (عمل، مدرسة، داخل الأسرة..)

3- إعداد معايير صوتية لتعليم النطق الفصيح كما عرفه فصحاء العرب في خطابهم اليومي تماشيا مع التخاطب التلقائي الحيوي غير المتكلف، وذلك بالرجوع إلى الثروة الأدائية التي تركتها لنا القراءات القرآنية الغنية بالأداء الفصيح.[3]

4- استغلال البحوث اللسانية الحديثة والبحوث العلمية التي تتناول اللغة.[4]

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، المرجع السابق، ص 111.

[2] المرجع نفسه، ص 117.

[3] المرجع نفسه، ص 118.

[4] المرجع نفسه، ص 118.

5-إنجاز القاموس الجامع لألفاظ اللغة العربية وذلك بإحصاء جميع ما جاء في المعاجم العربية قديمها وحديثها وتتبع مسار اللغة العربية من الجاهلية وحتى عصرنا الحالي.[1]

6-إعداد أطلس جغرافي لغوي للبلدان العربية يُمكِّن الباحثين في العربية من الاطلاع على الأوضاع اللغوية وخصوصيتها من منطقة إلى أخرى (النطق، الاستعمال..) أي الانطلاق من الاستعمال الفعلي للغة، فيستطيعوا بذلك تصحيح التصورات الزائفة واستبدالها بكلام العرب الفصيح العفوي.[2]

7-إعداد مقاييس رياضية للوصول إلى صياغة المباني اللغوية صياغة رياضية تمكننا من استغلال الرتابات (الأدمغة الالكترونية) لعلاج النصوص العربية.[3]

8-إعداد اختصاصيين في البحث اللغوي وإمدادهم بآخر ما توصلت إليه العلوم الحديثة، ثم تغذيهم بالتراث العلمي العربي ويكون هذا الإعداد مبنيا على الدراسة التطبيقية والميدانية.[4]

9- مواصلة تعريب المصطلحات العلمية[5] ومسايرة السرعة العجيبة –سرعة الصواريخ_ التي تتصف بها الحركات الاستكشافية والاختراعية في زماننا[6] لإنجاز ما يسمى ب"**القاموس الجامع**" لألفاظ العربية.

وفي ختام هذا العرض الذي يخص المعاجم العربية وقضاياها للأستاذ الحاج صالح يقول بأن المعجم العربي الحديث لم يتم نموه بعد، وقد وضعت المعاجم الكثيرة في شتى المجالات إلا أن النوع العام منه والمدرسي لا يزالان دون المستوى المطلوب كيفًا وكمًّا، ولم ينتج للآن معجما يساير ما وصلت إليه هذه الصناعة في عصرنا، إذ مازلنا نتبع منهج

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج2، المرجع السابق ، ص 118.

[2] المرجع نفسه، ص 118.

[3] المرجع نفسه، ص 118.

[4] المرجع نفسه، ص 118.

[5] المرجع نفسه، ص 119.

[6] المرجع نفسه، ص 113.

الاستقاء من القديم ولم يؤخذ بعين الاعتبار المستعمل الحقيقي من اللغة العربية والحل عند الأستاذ هو الإسراع في إنجاز مشروع الذخيرة العربية.[1]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، المرجع السابق، ص 124.

2-3 مشروع الذخيرة العربية .

2-3-1 تعريف الذخيرة العربية:

2-3-1-1لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور معنى الذخيرة كالآتي: "ذَخَرَ الشيءَ يذَّخره ذُخْرًا واذَّخَرَه اذِّخَارا: اختاره، وقيل: اتخذه، والذَّخيرة واحدة الذخائر، وكذلك الذُّخْر والجمع أذْخارٌ، واذَّخَر لنفسه حديثا حسنا: أبقاه، وقال ابن الأثير: " هكذا ينطق بها، بالدال المهملة، وأصل الادِّخار اذتخار، وهو افتعال من الذُّخْر..."[1]

أما معجم تاج العروس فعرف الذخيرة لغة بأنها: "ذَخَرهُ.يذْخَرُ ذُخْرَا بالضم واذَّخَرَه اذِّخَارًا أختاره أو اتخذه وفي الأساس، خبأه لوقت حاجته".[2]

يتبين لنا أن الذخيرة من خلال المفهوم اللغوي عموما تعني الوعاء[3] الذي يذخر فيه بقطع النظر عن الشيء الذي يُذخر، وكون هذا الادخار اختياريا حتى يتخذه المدخر فيما بعد، وأنها بمعنى الإبقاء والمحافظة على الشيء لأهميته.

2-3-1-2اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد عرفها الدكتور صالح بلعيد على أنها:" انترنيت نصوص حقيقية محررة أو منطوقة، تخص تحصيل معلومات الكلمة العربية والجذور وصيغ الكلم وحروف المعاني والمعرب الذي ورد في الاستعمال، وصيغ الجمل والأساليب الحية والجامدة، وما يتعلق بالعروض والقوافي والضرورات الشعرية، والزحافات والقوافي، وما يخص المفهوم

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، نشر دأب الحوزة، إيران، ج4، 1305هـ، ص302.

[2] سمية بلفول: حوسبة اللغة العربية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح- مشروع الذخيرة العربية أنموذجا- منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص 93

[3] عبد الرحيم مزاري، أثر مشروع الذخيرة اللغوية لعبد الرحمن الحاج صالح في التعليم الالكتروني للغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018، الجزائر، ص 55.

اللغوي أو الأدبي أو الحضاري أو العلمي أو التقني، تقبل الزيادة والتقويم حسب تطور المعلومات".[1]

إن أهم ما أنجزه الأستاذ عبد الرحمن الحاج خلال مسيرته العلمية التي تقارب الخمسين سنة هو "مشروع الذخيرة العربية" الذي قال عنه:" كان لي الشرف أن عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان عام 1986..حاولت أن أقنع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع...ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر 1988 فوافق أعضاؤه على تبنّيه في حدود إمكانيات المنظمة.[2]

إذا هو مشروع حضاري عظيم عظم اللغة العربية حاول الأستاذ من خلاله أن ينقل العربية من القديم إلى العصرنة بالاستعانة بالتكنولوجيا لتبادر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد الموافقة على المشروع بمراسلة الجهات الرسمية المعنية بالتربية والتعليم العالي تطلب منها إدلاء الرأي في جدواه وطرق تنفيذه لتأتيها الإجابة من المجامع العربية اللغوية كلها والجامعات ومراكز البحوث والجهات المعنية أجمعت كلها على الأهمية الكبيرة لهذا المشروع وضرورة إنجازه في أقرب الآجال.[3]

وقد نشأ هذا المشروع من الاستعانة بالكمبيوتر (الحاسوب) واستغلال سرعته الهائلة في علاج المعطيات وقدرته العجيبة في تخزين ألاف الملايين من هذه المعطيات، إذ يحتوي على أهم ما حرر بالعربية مما له قيمة علمية وأدبية وتاريخية وغيرها، وأعز ما أنتجه الفكر العربي وحديثا وما سينتجه على مر السنين وسيكون هذا البنك الآلي تحت تصرف أي باحث

[1] سمية بلفول، حوسبة اللغة العربية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 93.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1 ، ص 395.

[3] المرجع نفسه، ص 395.

في أي مكان في العالم إذ يمكنه أن يسأل الحاسوب عما يريد فيجيبه بسرعة الضوء، إذا فالذخيرة هي بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر تتصف بالسرعة والسهولة في إيجاد المعلومة تعتمد على الاستعمال الحقيقي للغة العربية[1]،

ويمكن تلخيص مميزات هذا البنك الآلي للنصوص عن باقي البنوك الآلية المتواجدة في النقاط التالية:

1-الشمولية الكاملة (في المكان والزمان).[2]

2-اندماج المعطيات النصية حاسوبيا ومرتبو ومصنفة بحسب العصور وفنون المعرفة.

3-كونه آليا وعالميا إذ سيكون له موقع في شبكة الانترنيت.

4-يمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا.

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2 ص ص 112-113.

[2] المرجع نفسه، ص 142.

2-3-2فوائد الذخيرة العربية:

- الاعتماد في وضع المصطلحات والبحث عنها على كل المعطيات اللغوية في ميدان معين من واقع الاستعمال للغة العربية قديما كان أم حديثا.[1]
- الاعتماد في اختيار اللفظ على مقياس الشيوع والدقة في دلالة المعنى المراد.[2]
- الاعتماد على هذا البنك النصي الآلي في البحث عن التطور الدلالي للألفاظ العربية، ومن ثم إمكانية وضع معجم تاريخي دقيق للغة العربية.[3]
- إمكانية فهرسته بكيفية آلية لكل النصوص العربية ذات القيمة العلمية والأدبية مما طبع وما سيطبع وينشر على مستوى الوطن العربي.
- إمكانية وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل تخصص لكل مدخل دراسة لغوية دقيقة.

2-3-3وظائف الذخيرة العربية:

لا شك أن صاحب فكرة مشروع عظيم عظم الذخيرة العربية وعظم اللغة العربية أنه قد حدد وظائفها والغاية المرجوة منها، وهذا فعلا ما قد قام الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، إذ تحددت وظائفها في النقاط التالية:

1-تحصيل معلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أم مصطلحا.[4]

2-تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم.

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، المرجع السابق، ص 113.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

[3] المرجع نفسه، ص 113.

[4] المرجع نفسه، ص 401.

3-تحصيل معلومات تخص أجانس الكلم.

4-تحصيل معلومات تخص حروف المعاني.[1]

5-تحصيل معلومات تخص المعرب الذي ورد في الاستعمال.

6-تحصيل معلومات تخص الجمل والأساليب الحية والجامدة منها.

7-تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي.[2]

2-3-4كيفية إنجاز الذخيرة العربية:

أما عن كيفية إنجاز الذخيرة كما ذكرها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فهي كالآتي:

أ- توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسسات مع التنسيق والمتابعة.[3]

ب- كيفية توزيع العمل وتنظيمه وتنسيقه؛ ويكون ذلك التنظيم والتنسيق على النحو التالي:[4]

- تكوين الفرق وإعداد التجهيز اللازم.
- إنشاء فريق من الممارسين والاختصاصيين.
- اقتناء مجموعة أجهزة تتكون من خمسة إلى عشرة حواسيب صغيرة (ميكرو)، وعدد كاف من الركائز الذاكرية المنقولة(الأقراص)، وآلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير).
- توزيع الحصص على المؤسسات ولكل مؤسسة الحق في اختيار المعطيات التي تريد تخزينها ولها أن تختار بعض أمالي أساتذتها ودراسات باحثيها والكتب والمنشورات التي يرتبط محتواها بتخصصها أو اهتماماتها..وهذا سيكون حافزا لها في العمل التخزيني .[5]

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، المرجع السابق، ص 402.

[2] المرجع نفسه، ص 402.

[3] المرجع نفسه، ص 404

[4] المرجع نفسه، ص 405.

[5] المرجع نفسه، ص 406.

- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه.[1]
- برمجة العمل ويكون بـ:

1_التراث: حصر ما أدخل في الانترنيت، إذ بادرت بعض المؤسسات بإدخال بعض الكتب التراثية زيادة على القرآن الكريم والحديث الشريف في ذاكرة الحاسوب؛ مثل شركة صخر العالمية والمجمع الثقافي بأبو ظبي وشركة كوسموس بدبي وشركة التراث بعمان.

2-برمجة التراث وتوزيعه على المشاركين:إذ تقوم اللجنة بجرد التراث غير المحوسب (المطبوع المحقق) ويكون ذلك على مقاييس ثلاثة:

- إلى عصور قصيرة (من 30إلى 50 سنة).
- في داخل كل عصر (إلى بلدان).
- في داخل كل بلد وكل عصر (إلى ميادين عامة ثم خاصة).[2]

3_الإنتاج المعاصر: (العلمي والأدبي والفني والتقني)، إذ يتكفل كل مشارك بحيازة إنتاجه الخاص ويضيف ما يشاء.

4_ ما تكتبه الصحافة من الأخبار والمقالات وغير ذلك: (كل ما تم تسجيله في وسائل الإعلام السمعي البصري).[3]

- تدرج العمل والمتابعة: إذ قررت الندوة التأسيسية تحديد المرحلة الأولى للعمل المشترك لمدة خمس سنوات ابتداءً من تاريخ انعقادها وحرر المكتب التنفيذي البرنامج المتبع متبوعا بسنوات الإنجاز.[4]

كيف تتم عملية تحليل النصوص حاسوبيا"Corpus Analysis "؟

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، المرجع السابق، ص 406.

[2] المرجع نفسه، ص 407

[3] المرجع نفسه، ص 408.

[4] المرجع نفسه، ص ص 415-422.

يستدعي تحليل النصوص حاسوبيا استخدام برمجيات متخصصة نظرا للكم الهائل من النصوص، ومن أهم البرمجيات وأكثرها شيوعا "برمجيات الكلمات المتوافقة "Concordance packages"، وتعمل هذه البرمجيات على إنجاز المهام الآتية:

- الإحصاء العددي count؛ وتتضمن استخراج النسبة المئوية لتكرار كلمة معينة في النص، ويشتمل هذا الإحصاء لكلمات النص اللغوي غير المعالج على الخطرات الآتية: [1]
  - إحصاء العدد الإجمال للكلمات في النص. [2]
  - إحصاء مقدار تكرار الكلمة الواحدة في النص.
  - إحصاء مقدار تكرار كلمة جوار كلمة أخرى، وتسمى هذه الخطوة "بالتكرار التوافقي للكلمة.Co-occurrence frequency" [3].
  - إحصاء العدد الإجمالي للجمل في النص.
- البحث عن شيء search؛ ويشمل هذا الأمر إيجاد كلمة معينة أو معرفة معانيها أو اشتقاقاتها وما إلى ذلك. [4]
- تصنيف الكلمات، أي ترتيبها وتبويبها في فئات نحوية، كالأسماء والأفعال والصفات.[5]
- توافق كلمة مع أخرى Concordance أي معرفة الكلمات المرافقة لكلمة معينة .

[1] شحدة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، المرجع السابق، ص 319.

[2] المرجع نفسه، ص 320.

[3] المرجع نفسه، ص 320.

[4] المرجع نفسه، ص 319.

[5] المرجع نفسه، ص 319.

- السياق الذي ترد فيه الكلمة في النص. [1]

وفي ختام القول حول الذخيرة العربية يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "إن لها **غاية قصوى** وهي: إعداد بنك آلي لكل ما أنتجه الفكر العربي –من نصوص وليس المفردات فقط– وما بصدد إنتاجه، وجعله تحت تصرف أي فرد من الوطن العربي وخارجه، أما بالنسبة للغة العربية؛ فهو "ديوان العرب" على شبكة الانترنيت الدولية "مدونة آلية" ...تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا، يمكن أن "يسبرَ" لتجيب هذه المدونة على جميع الأسئلة بعد دمج النصوص وجعلها كنص واحد، ليتمكن الباحث من معرفة جميع المفردات والاصطلاحات العربية..وهذا هو الجديد الذي تحققه الذخيرة".[2]

[1] شحدة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة ، المرجع السابق، ص 319.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، المرجع السابق، ص 411.

الفصل الثالث:

الفصل الثالث: اللغة العربية بين علم ظواهر الاستعمال والتداولية.

1- قضايا الخطاب والتخاطب في التراث العربي.

1-1 الفرق بين الخطاب والتخاطب.

1-2 الوضع والاستعمال عند علماء العربية.

1-3 العلاقة بين النحو والبلاغة.

2- علاقة البراغماتيك الغربية بنظرية الخطاب العربية.

2-1علم المخاطب فرع من علم البلاغة.

2-2تعريف التداولية.

2-3 فهم الخطاب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

تمهيد:

سأعالج في هذا الفصل أهم قضية تناولها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وهي تخص علما من علوم العربية؛ ألا وهو علم البلاغة؛ وبالتحديد علم المخاطب، فقد أراد الأستاذ من خلال كتابه الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية أن يقارن بين علم المخاطب العربي الذي يدرسه علم البلاغة، وبين علم البراغماتيك الغربي، ليصل في الأخير إلى نتائج تفيد أن ما يدرسه علم التداولية أو البراغماتيك الغربي هو تماما ما يدرسه علم المخاطب العربي أو علم ظواهر الاستعمال كما جاء في الكتاب.

وقد شغلت قضية الخطاب العلماء العرب والغربيين، القدماء منهم والمحدثين، فهي القضية القديمة المتجددة؛ وهذا لأن ظروف الخطاب وملابساته غير ثابتة، سنتناول موضوع الخطاب من منظور اللساني عبد الرحمن الحاج صالح الذي أفرد له كتابا سماه "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" قارن فيه بين علم المخاطب وهو علم عربي درسه علم البلاغة العربي وبين علم التداولية أو البراغماتيك الغربي، إذ خلص الأستاذ إلى أن علماء العرب القدماء أحاطوا بنظرية الخطاب واهتموا بالمخاطَب والمخاطِب والظروف المحيطة بهما، وأن علم الراغماتيك لم يأت بالجديد وقد نقد الأستاذ العلماء الذين ترجموا مصطلح "البراغماتيك" ب"التداولية"، وقد كان أولى بهم أن يعودوا إلى التراث العربي إذ نجد العلماء العرب قد أسموه "علم المخاطب" أو "علم ظواهر الاستعمال".

1-قضايا الخطاب والتخاطب في التراث العربي.

انطلق واضعو اللغة العرب من استقراء النص القرآني لاستنباط أصول العربية بهدف تمكين غير العربي من قراءة القرآن دون تحريف؛ إذ وضعوا النقط نظاماً للدلالة على الحركات وبيان الإعراب وهذا العمل المتواصل أدى بهم إلى التفطن إلى بيان أسرار بعض العلاقات كالحركات (الفتح، الضم، الجر) وإلى أحوال الكلمات واكتشاف الثوابت في الكتابة

وذلك من النقط لبيانه في الكتابة ودون التفكير في استخراج الأصول ثم إثبات الأصل النحوي، وكان لأبي عمرو بن العلاء الفضل في توسيع دائرة البحث في اللغة بالسماع إلى كلام العرب وذلك ابتداءً من سنة 95هـ وقد سبقه في ذلك عبد الله بن عباس بالاستشهاد بكلام العرب في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم ومنه استحق النحو أن يوصف بأنه علمي لاعتمادهم المطلق على المعطيات الموضوعية .[1]

واهتم النحاة القدامى بتحليل ودراسة اللغة وخاصة ما يتعلق بالخطاب المنطوق، إذ نقلوه من فصحاء العرب وصنفوه وقعدوا به القواعد، وألفت الكتب في شتى العلوم منها: النحو، الصرف، البلاغة، الفقه وغيرها؛ فقد خلّف الأجداد تراثا ضخما غنيا متنوعا ينافس كل الدراسات اللغوية في العصر الحديث، وقد اهتم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بموضوع الخطاب والتخاطب وخصص له كتابا مستقلا سماه" الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية"؛ أراد من خلاله أن يميز بين اللغة وبين كيفية استعمالها في التخاطب وهو تمييز حاسم وعميق لأنه يخص اللغة في حد ذاتها والدور الذي تقوم به كلغة وكيفية استعمالها فما هي المقاييس العلمية التي اعتمدها العلماء العرب القدامى في موضوع الوضع والاستعمال [2] .

وقد تناول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قضية السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة وقد أفرد له كتابا سمّاه: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى وجب على كل باحث في اللغة العربية أن يلِمّ بالطريقة التي اعتمدها علماء العربية القدماء في جمع اللغة والحفاظ عليها والاهتمام بدقائق كلامها

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ص 7.

[2] المرجع نفسه، ص ص 8-9.

لتصل إلينا بهذا الكم الهائل من القواعد النحوية والبلاغية تنافس ما وصلت إليه النظريات اللغوية الغربية.

وقد أدّى السماع المستمر لكلام العرب إلى اكتشاف حقيقة علمية ذات أهمية كبيرة وهي وجود كلام المسموع من فم المتكلمين ووجود ما يسميه سيبويه الأصل في الكلام، إذ جاء في الكتاب لسيبويه: (باب ما يكون في اللفظ من الأعراض) يقول:"اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوضون ويستغنون عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستغل حتى يصير ساقطا، فمما حذف وأصله في الكلام: لم أكُ ولم أدرِ، وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يدعُ ولا يقولون (ودع) استغنوا عنها بترك (ودع) الأصل في الكلام واستعملوا يدع لأنها من المستعمل"[1].

وأردف السيرافي شارح الكتاب بقوله:" إنما أراد سيبويه أن يبين أن كثيرا من العرب الذين لغتهم إثبات الياء في مثل هذا يحذفونها من "لا أدر (المستعمل) يساوي لا أدري (الأصل) وكلامهم أو لغتهم لا أرمي ولا أبري فخصّوا هذا الحرف بالحذف لكثرته في كلامهم وإن كان في لغتهم الإثبات أو الأصل فيه الإثبات.

وهذا مثال واحد مما جاء في كلامهم ككلام[2] وليس اللغة، أما العوارض هذه أو الاستثناءات تخص اللفظ والمعنى أيضا مثل المعنى في الآية الكريمة: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف 82)، قال سيبويه: يقصد بها أهل القرية فاختصر[3].

وتجدر الإشارة إلى أن النحاة العرب يميزون منذ أقدم العصور بين (الأصل في الكلام) وبين ما يعرض له على الألسنة في اللفظ والمعنى؛ لأنه خطاب حاصل بالفعل له أوصافه

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

[3] المرجع نفسه، ص8.

الخاصة كخطاب والعوارض المذكورة، ويحصل ذلك لأسباب لا دخل للأصول فيها كالخفة (التخفيف) التي تقتضيها كثرة الاستعمال[1].

وقد فصل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية في هذا وأهم ما تناوله؛ هو التمييز بين اللغة وبين كيفية استعمالها في التخاطب (الكلام) تمييزا حاسما وعميقا يخص اللغة في حد ذاتها والدور الذي تقوم به كلغة وكيفية استعمال الناطقين لها وهو الكلام أو الخطاب، في إطار النظرية اللغوية التي اختص بها علماء العرب النحويون والبلاغيون[2]، وقد ربط الأستاذ بين هذه النظرية وبين ثنائية اللغة والكلام لديسوسير فاللغة هي الملَكَة والكلام هو تحيين هذه الملكة واستعمالها إذ يطرح التساؤلات الآتية[3]:

_ على أي أساس ميز علماء اللغة العرب بين اللغة وبين الخطاب أو التخاطب؟

_ما هي المميزات التي اختص بها الخطاب والتخاطب ؟

_ما هي المقاييس التي اعتمدها العلماء ليقرروا ما قرروه؟

_ هل لهذا التمييز فضل من الناحية العلمية بما يترتب عليه من الأوصاف الموضوعية لكل من اللغة والكلام؟

_ هل تقتضي هذه الأوصاف إلى جعل التخاطب كيانا قائما بذاته؟

هل للاستعمال اللغوي قوانين تخالف ما تخضع له اللغة من أصول؟[4]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص ص8-9.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص9.

كل هذه الأسئلة حاول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الإجابة عنها من خلال تخصيص كتابه السابق الذكر، وقد استطاع –حسب رأيي– الوصول إلى جمع أكبر قدر من الحقائق التي أراد الوصول إليها من خلال هذا الموضوع، والذي مازال يشغل الباحثين العرب وغيرهم كون موضوع الخطاب وعلاقته بالسياق مستمرا لا ينتهي ولا يمكن الفصل فيه، وهذا راجع إلى تغير أحوال المتخاطبين في حد أنفسهم.

ومن هنا نقول إن اهتمام العرب بالبحث اللغوي قد صار هدفا علميا بحتا وقد انطلقوا من النص القرآني بنظر منتظم، وانصب اهتمامهم بقضية الصياغة اللفظية للكلم وللكلام[1] فسلامة الكلام أهم شيء فيها سلامة النطق؛ أي: الصياغة اللفظية (التركيب)، واللفظ السليم هو ما كان من كلام العرب (غير أعجمي) وما سمع عنهم وما كان يقاس من كلامهم أي موافقته للقياس[2].

ومن هنا نستخلص أن اللفظ السليم هو:

_ ما سمع من كلام العرب (السماع).

_ ما ثبت في استعمالهم (الاستعمال).

_ ما قيس على كلامهم (القياس).

وقد حدد العرب السلامة اللغوية واشترطوا صحة الانتماء إلى لغة السليقيين التي حددت بمكان وهو سبع قبائل وزمان حدد ب 150 سنة قبل الهجرة و150 سنة بعدها والمقياس العلمي الصحيح للسلامة اللغوية[3] لا تخص الصياغة اللغوية فقط أي اللفظ وما يعتريه من تصريف وأبنية، بل تخص المعنى أيضا، إذ يجب أن يكون سليما وركزوا كذلك على السلامة المعنوية التي تخص التركيب؛ هذا ما سماه سيبويه المحال أو الخلف (سلامة التركيب) مثال: آتيتك غدا؛ غير سليمة المعنى وسليمة التركيب وسآتيك أمس؛ محال أو خلف فاللفظ وحده لا يدل، بل يجب أن تتوفر فيه هذه العناصر (التبليغ + أحوال الخطاب أي السياق)[4].

ومن هنا يمكن القول أن معادلة الكلام عندهم هي (الكلام = لفظ + إفادة + تبليغ+ أحوال الخطاب)، والنحاة لم يهتموا فقط بالنص بل بما يحيط به من ظروف تساعد هذا

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص9-10.

[4] المرجع نفسه، ص10.

النص على بلوغه التواصل، والظروف التي سبقت حدوثه وبقيت مسجلة في ذاكرتهم والنص جزء من التخاطب وهذا ما يخص السلامة لفظا ومعنى[1].

وقد عرض الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح لهذا الاهتمام من المفسرون بمعاني القرآن واهتم علماء البلاغة بأسلوب القرآن؛ فهي من علوم اللسان موضوعها الأساسي هو دراسة الكلام كخطاب أي النظر بين التلازم القائم بين طرق التعبير وبين الأغراض[2]، كما ذكر الجرجاني قوله بأن البلاغة هي : "اختيار المتكلم لما يعرفه من أنواع التراكيب" فإذًا؛ البلاغة من إبداع المتكلم وليست من أوضاع اللغة، فالمتكلم حر في التصرف في الصيغ التركيبية والمفردات التي يشاء[3].

وقد بين الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الفرق بين السلامة والفصاحة؛ فالسلامة في الصياغة اللفظية اللغوية (نظام اللغة) وتهتم بالجانب الدال المصوغ من اللغة، وتخص النحوي؛ إذ يستنبط الحدود التي تضبط الصياغة مع الاعتداد التام بالمعنى، أما الفصاحة فهي الكلام كخطاب فصيح، اهتم به الأصوليون والمتكلمون وعلماء المسلمين والمتمثل في (القرآن الكريم) والحديث الشريف كخطاب لاستنباط الأحكام الدينية واللغوية[4]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص ص 10–11.

[2] المرجع نفسه، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص 29.

[4] المرجع نفسه، ص11.

وقد قال السكاكي(ت626هـ)[1] في مفتاح العلوم:" اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره..."، فالإفادة إذن هي وجه الخلاف بين النحو والبلاغة، والنحاة الأولون سبقوا الأصوليين والمتكلمين في أكثر القضايا اللغوية إلا في القضايا الفلسفية المحضة كاعتباطية اللغة وقضية الاسم هو المسمىّ ونفي ذلك[2].

1-1 الفرق بين الخطاب والتخاطب.

1-1-1 مفهوم الخطاب.

الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة؛ مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وهما يتخاطبان[3]، والخطاب كمفردة لغوية يشير إلى مصدر الفعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، أي نقله من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة الاسمية فأصبح قديما يدل على ما خوطب به وهو الكلام.[4]

نستنتج مما سبق أن المفهوم اللغوي للخطاب يدور حول الكلام بقصد الإبانة وحول ما يتلفظ به.

وقد وردت كلمة "خطاب" في القرآن الكريم ثلاث مرات قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُوْنَ مِنْهُ خِطَابَا﴾. (النبأ:37) ويعني الخطاب هنا "الكلام"؛

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،2000، ص 247.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص11.

[3] ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل، م2، بيروت، لبنان،1998 ، ص 856.

[4] سليم مزهود: مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006/2005، ص 18.

إذ يفسّر الطبري الآية: يقول تعالى ذكره: الرحمن لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة إلا من أذن لهم وقال صوابا...لا يملكون منه خطابا أي كلاما.[1]

والآية الثانية: قال تعالى: :﴿ وَشَدَدنَاَ مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾(ص:20) ففي تفسير هذه الآية يقصد به الفاصل في الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد الحق والباطل والصواب والخطأ.[2]

أما الآية الثالثة، قال تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابْ﴾(ص:23)؛عزني: غلبني...يريد: جاءني بحجج لم أقدر أن أورد عليه ما أردّه: مخاطبة الحجاج المجادل، أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو فيخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني.[3]

الخطاب اصطلاحا:

يختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف وجهات النّظر وتنوّعها؛ إذ يرى ميشال فوكو Michel faucanlt أنّ الخطاب مصطلح لسانيّ يتميّز عن نص أو كلام وكتابة وغيرها إذ يحوي كل إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا ذاتيا أو مؤسّسيا، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد[4].

كما عرّف "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" الخطاب بأنه:" مجموع التعابير الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الاديولوجي[5]، وأورد طه عبد الرحمان" في كتابه اللسان والميزان تعريفا للخطاب فقال: إن المنطوق به أي:الخطاب الذي يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات الواجبة في حق ما يسمى خطابا، إذ حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا، وأما الكلام

[1] عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

[4] ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 1984، ص9.

[5] سليم مزهود، مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ، المرجع السابق، ص 19.

فهو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم أو الإفهام.[1]

وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسّسية فهو ليس ناتجا بالضّرورة عن ذات فرديّة يعبّر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون مؤسّسة أو مدّة زمنيّة أو فرع معرفي ما.

وقد ذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن من يستعمل كلمة الخطاب هم المتكلمون من الأصوليين كالباقلاني والقاضي عبد الجبار في كتابه خلق القرآن (المحتمل في اللغة أو في الخطاب)، وكابتداء ومواضعة لأنه يجب حمل الخطاب عليه أولى من حمله على اللغوي منه[2].

ومن هنا يتبين أن الكلام أوسع مجالا من الخطاب، فالكلام يعني اللغة أو اللسان مثال: كلام العرب أو العجم، والكلام المستغنى عند سيبويه وهو الجملة المفيدة فيما بعده، والكلام قد يستدعي وجود مخاطب كالمونولوج وكلام النائم، أما الخطاب فلا يكون إلا في مخاطبة وهذا اللفظ نفسه مصدر خاطب فلا يتصور خطاب إلا في حال خطابية مع مخاطب معين[3].

1-1-2 الخطاب تفاعل بين متخاطبين:

إن الخطاب يوجِب وجودَ مخاطِب ومخاطَب في حال مخاطبة، ولا يكون مثل الكلام إذ حمل معنى المحاجة والجدل ومحاولة إقناع الغير؛ إذا بلغ درجة معينة من الإفادة والتأثير في نفس المخاطب، وأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو أعلى طبقة ومنها ما

[1] طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998،ص 215.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص 16.

هو أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة؛ فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر غير ذلك، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف[1]، وإنما هي في الحقيقة التبليغ النافذ الناجع أي: إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ[2]، وهي على عشرة أقسام الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين والمبالغة، وحسن البيان.[3]

وذكرنا سابقا أن الباقلاني والقاضي عبد الجبار من المتكلمين الأصوليين الذين آثروا استعمال مصطلح الخطاب على الكلام، أما النحاة فيستعملون كلمة "كلام" وهو معقول جدا لأن لفظة "كلام" أعم من "خطاب" ولكنهم لم يهملوا المخاطبة (المخاطب أو المتكلم)، فقال الشاطبي صاحب الموافقات :" إن سيبويه وإن تكلم في النحو فقد نبّه في كلامه عن مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتهم في ألفاظها ومعانيها"[4].

ويُولي الأستاذ عبد الرحمن أهمية كبيرة للعلاقة بين علم النحو وعلم البلاغة، وهذا الاهتمام لم يأت من العدم بل دليل على فهمه للنحاة العرب القدامى خاصة فيما تعلق بظواهر التخاطب؛ فلا يفسر النحوي الظواهر التي تخص أحوال الصياغة وتنوعها إلا باللجوء إلى ظواهر التخاطب مع عدم التوازي بينهما، وقد عالج سيبويه ظواهر ما سمَّاه "**بالاتساع والاختصار**" حيث تكثر فيه الحذوف للفعل خاصة وهو باب من أبواب النحو

[1] الرماني، النُكت في إعجاز القرآن، "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر، ص 75.

[2] المصدر نفسه، ص ص 75-76.

[3] المصدر نفسه، ص 76.

[4] المرجع نفسه، ص 17.

والبلاغة في آن الوقت، وحلل الكلام من حيث معانيه كالخبر والأمر والنهي والاستفهام وغير ذلك وربط في كل ذلك بين الكلام كبينة والكلام كخطاب دون التخليط بينهما.[1]

إذا فالنحو العربي لم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب وغير ذلك، بل إنه بيان كل باب بما يليق به حتى احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني"[2]، والمعادلة التي استنتجها الأستاذ عبد الرحمن الحاج من كل ما قرأه عن موضوع ظواهر التخاطب هي:

الخطاب = نحو+بلاغة .

كما يتعجب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من إهمال الدارسين العرب المحدثين للتراث البلاغي وخاصة فيما تعلق بالحقائق العلمية المثبتة من قبل النحاة العرب القدامى في قضية الوضع والاستعمال وما يتصف به كل واحد منهما من الصفات والمزايا وما تميز به القدامى أمثال: سيبويه والجرجاني عبد القاهر والرضي الاستراباذي والزمخشري والرماني نحاةً وبلاغيين في آن الوقت[3]ويطرح الأستاذ الأسئلة الآتية:[4]

- لماذا يمتنع أن يسوّي بين الوضع والاستعمال؟
- الكلام كبنية لا يختلط بالكلام كخطاب لمَ؟

إذا فالخطاب يرتبط بمتكلم ومخاطب والوضع الذي يحتويهم، فضلا عن أنّ له تأثير على اللّغة التي يوجّه بها الخطاب والتي تختلف بدورها من قائل لآخر ومن تخصّص إلى آخر، كما تختلف باختلاف المناسبة أو الموقف وطبيعة المتلقّي والهدف المقصود من وراء

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 17

[3] المرجع نفسه، ص 17.

[4] المرجع نفسه ، ص 17.

إصدار الخطاب وعليه يمكن تحديد الخطاب بوصفه مجالا بعينه من الاستخدام اللّغوي تحدّد بنيته بتمازج العناصر السابقة التي تفرز باختلافها أنواعا جديدة من الخطاب.[1]

[1] ديان مكدونيل: المقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم:عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية ط1، 2001، ص68.

1-2الوضع والاستعمال في اللغة العربية.

1-2-1 مفهوم الوضع اللغوي عند النحاة وعلماء الأصول .

إن كلمة "وضع" عند النحاة "وضع، يضع" قديمة في كلام العرب، استعملها سيبويه بمعناها الأصلي إذ لم ترد كمصطلح نحوي إلا عند نحاة القرن الرابع الهجري المنطق الحقيقي لاستعمالها فيما بعد، فمادة "و ض ع " عند سيبويه بصيغة الفعل والمصدر الميمي المشتقين من هذه المادة "وضع، يضع، الموضع" ويكون لهذا الأخير معنى المكان[1]، ولهذا فالأخفش تلميذ سيبويه استعمل "وضع" بنفس استعمال أستاذه وكذلك معاصره الفرّاء.[2]

وكل هذا يبين أن سيبويه استعمل فعل "وضع" في الميدان اللغوي وجعل معناه الأصلي هو: تخصيص الشيء للشيء أي: تخصيص لفظ لمعنى المصدر "الوضع" لم يستعمله ولكن الفعل "وضع" كان بمعنى اختصاص لفظ لمعنى مثال: المصادر التي وضعت للحين.[3]

ولفظة "الوضع" تعني أيضا جعل الكلام على معنى معين وتركيب معين وضع التركيب :" لأنك تسألهم على ما وضع عليه المتكلم كلامه " ومن هنا نقول أن الجانب التركيبي عند العرب كله مبني على الموضع.[4]

أما فيما يخص مفهوم الوضع الخاص باللغة (التواضع والاصطلاح):فقد شغل بال اللغويين والمتكلمين بعد سيبويه فاستعملوا التواضع بمعنى "الوضع" نهاية القرن الثالث

[1] عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 21.

[2] المرجع نفسه ، ص 22.

[3] المرجع نفسه ، ص ص22-23.

[4] المرجع نفسه ، ص 23.

الهجري فهل عرَّف الوضع سيبويه أو الخليل وأتباعه بهذا المعنى كما تصوره العلماء بعدهما؟[1]

ويهتم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بمفهوم الوضع عند سيبويه إذ ليس معناه التواضع اللغوي لأنه يحمل صبغة فلسفية كاتفاق جماعة من الناس على وضع اللغة يقابله Convention وال Social Institution كالزواج والطلاق ومنها اللغات البشرية لأنه لم يكن من اهتمام النحاة فقد كان همهم تدوين اللغة العربية وتقنينها والدليل على ذلك عدم وجود أي دليل في كتاب سيبويه عن التواضع اللغوي[2].

1-2-2المقابلة بين اللغة والكلام والاستعمال.

استطاع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن يفصل في قضية الوضع والاستعمال عند العرب وخاصة عند سيبويه وما جاء بعده من عباقرة اللغة -كما يسميهم-، ويقارنها باللغة واللسان عند ديسوسير أوقد وصل إلى أن التقابل بين اللغة كمجموعة منسجمة من الدلائل في مقابل استعمالهم لها مع مراعاتهم لما يساعد على تحصيل الفهم والإفهام إذ قال سيبويه: "اعلم أنهم يحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في الكلام أن يستعمل حتى يصير ساقطا"[3]

ووصف سيبويه أحوال المسند والمسند إليه ويستعمل الكلام بمعنى الخطاب والدليل على ذلك كثرة رجوعه فيما يخص التراكيب إلى المتكلم والمخاطب، وعنده العربية مجموعة منسجمة من الدلائل يتجاوز الصياغة اللغوية إلى البحث في المعاني؛ فقال فيما يخص الآية:﴿وَمَثَلُ الذِّيْنَ كَفرُوْا كَمَثَلِ الذِيْ يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾(البقرة 171)

[1] عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية،المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص ص 23-24.

فقال: فلم يشبهوا بما ينعق وإنما شبهوا بالمنعوق ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى ويمكن استخلاص ما استخلصه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في هذه القضية في النقاط الآتية:[1]

1-الأصل في الكلام≠ الاتساع.

تجدر الإشارة إلى أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح تناول قضية تقسيم علماء العربية القدماء الكلام إلى ثلاث معاني وهي كالآتي:

المعنى الأول: الكلام كمصدر أو كاسم جنس:

وهذا من معاني الكلام الثلاثة عند علماء النحو العربي سيبويه وشيوخه فالكلام كمصدر أو اسم جنس مثال ذلك نقول: "هذا من كلام العرب" فكلام مصدر من كَلِم ليس من كلام العرب هذا كثير في كلام طيء؛ معناه: تدل على مجموع ما يتكلم به قوم وطريقتهم في الكلام قريبة من معنى "لسان" أي الطريقة الخاصة بهم في الكلام[2] وبهذا يوافق لفظة Langage بالفرنسية أي الكلام الخاص بشخص أو بقوم وهو اللغة بمعناها القديم؛ كلام العرب كلام العجم هو طريقتهم في الكلام فسيبويه يقول:" كلّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم.." وصارت كلمة لغة =لسان انطلاقا من هذا الاستعمال ابتداء من القرن الثاني الهجري[3].

المعنى الثاني: الكلام =الخطاب.

[1] سيبويه، الكتاب، المصدر السابق، ص 108_109./ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] المرجع نفسه ، ص ص 12-13.

أي الكلام الحاصل بالفعل بين المتخاطبين وهو باللغات الأجنبية "Discours"، ويرادفه الحديث أو الخطاب وهو أيضا ال"Enoncé" باللغة الفرنسية و"Utterence" بالانجليزية[1].

المعنى الثالث: الكلام المستقل المفيد.

وهذا ما افتتح به ابن جني كتابه الخصائص وتتبّعه لمفهوم النحو نظرا لأهميتهما؛ فقال: " الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه نحو زيد أخوك وقام محمد وضرب سعيد وفي الدار أبوك وصَهْ ومَهْ وأفٍّ وأَوَّاهْ[2] ..لا يكون الكلام إلا من أصوات تامة لتفيد معنى" هذا ما يسميه النحويون بالجمل[3].

وسيبويه أيضا يشترط الإفادة في الكلام بقوله:"لو قلت (كان عبد الله) لم يكن كلاما ولو قلت (ضرب عبد الله كان كلاما حسن السكوت عليه"هذا عبد الله"[4] بهذا المثال كلام حسن مستقيم حسن السكوت عليه وأفاد المتلقي، وهي وحدة خطابية تتكون من بينة نحوية ركناها المبتدأ "هذا" والخبر المركب "عبد الله" لها معنى وأفادت خبرا قائما بنفسه يستغني عن غيره، ومن هنا فالكلام عند ابن جني مستغن [5]كجملة مفيدة أقل ما يكون فيها محدِّث ومحدَّث والاستغناء يكون بمكونات معينة (فعل+فاعل أو فعل+فاعل+مفعول أو مبتدأ+ خبر) والزيادات أو التوابع (كالصفة والنعت والمفاعيل والحال والتمييز..) لا تغير صفة الجملة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 13.

[2] ابن جني، الخصائص، ج1، المصدر السابق، ص 17.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص 13.

[4] سيبويه: الكتاب، ج1،المصدر السابق، ص 161.

[5] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص 14.

وكذلك الحذف فإذا حذف منها ما يجوز حذفه فهي ما تزال جملة مفيدة نواة تحكمها ضوابط معينة، يتجاوز النحو مستواها فعلم النحو موضوعه التراكيب فقط وما تدل عليه من معاني[1].

إذا من خلال هذا العرض لمعاني الكلام الثلاثة كما جاءت في الدراسات النحوية العربية، وهي قريبة بعضها إزاء بعض، فإن الأستاذ عبد الرحمن قد لخصها في النقاط الآتية:

1- الكلام من حيث هو خطاب يحصل في التخاطب ويقابل اللسان أو اللغة.[2]

2- الكلام كطريقة في التعبير يختص بها قوم أو جماعة منهم وترادفه كلمة لغة عند سيبويه.

3- الكلام كوحدة خطابية تستقل في تبليغ الغرض وهو الكلام "المستغني" عند سيبويه، أو الجملة المفيدة عند من جاء بعده[3].

وقد خصص سيبويه لظواهر التخاطب التي تخضع لقوانين الاستعمال الحقيقي عدد كبير من المصطلحات، مثال: (لم يك) سمعت عن العرب وأصلها (لم يكن) أصلها في الكلام تستعمل كما يستعمل تخفيفا (الحذف) وانتماء (لم أكن) إلى الأصل في الكلام هو مجيئه على مثال من مثل العربية[4].

ثم إن إنجاح عملية التخاطب بين المخاطَب والمخاطِب تدخل ضمنها الكثير من الظواهر لإنجاحها كما سماه الجاحظ في الحيوان بـ: البيان "Communication"ووسائله، وذلك بالرجوع إلى كل ما يقوم به مقام اللفظ المحذوف أو الناقص الدلالة أو غامضها[5]، أما

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 14.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

[4] المرجع نفسه، ص 24.

[5] المرجع نفسه، ص 25.

الجاحظ فقد استعمل لفظة الاصطلاح بدلا من التواضع في كتابه البيان والتبيين أما لفظة التواضع لم يستعملها لا هي ولا اشتقاقاتها[1].

2-الوضع ليس هو الاستعمال:

تناول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الفرق بين الوضع والاستعمال وأجمَلَ قوله فيما يلي:" الوضع هو ما وضعه واصطلح عليه مجموعة من الناس بالموافقة أما الاستعمال فهو تلك الحرية التي يمتلكها المتكلم في ممارسته للغة، فابن مالك النحوي لم يدرك هذا الكلام، والسيوطي في المزهر يقول: إن المضاف مقدم على المضاف إليه في بعض اللغات ومؤخر في بعضها مثال: إن زيدًا قائمٌ من كلامنا وإن قائمُ زيداً ليست من كلامنا؛ وهذا دليل على تعرضهم للوضع في المركبات دون دراية منهم.[2]

وقد أقر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن أول من استعمل لفظة "وضع اللغة" هو ابن السراج في كتابه الاشتقاق للدلالة على أصل الكلام عند سيبويه، ولم توجد في كتاب أستاذه المبرد، وكلمة لغة في زمن سيبويه معناها لغة طيء أي ما يستعملوه في كلامهم ثم تطور معناها بعده عند ابن السراج ومعاصروه قالوا "وضع اللغة" في مقابل "استعمال اللغة" وهذا ما اصطلحوا عليه بالمجاز أو الاتساع (الكلام الحاصل في التخاطب يساوي وضع اللغة عند ابن السراج، والمبرد أستاذ ابن السراج استعمل حقيقة اللغة في مقابل الاتساع، أما الزجاجي فقد استعمل أيضا حقيقة اللغة وقالوا حقيقة اللغة تعني أصل اللغة وأصل وضع اللغة في مقابل الاتساع ثم المجاز بمعناها البياني(ضرب من الاتساع).[3]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق ، ص 25.

[2] المرجع نفسه ، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

والرضي الاستراباذي في شرح الكافية حدد مفهوم الوضع اللغوي:إذ يقول:"لأن الوضع لا يكون إلا لمعنى، إلا أن يفسر الوضع (بصوغ اللفظ) مهملا كان أو لا، ومع قصدِ التواطأ أولا فيحتاج إلى قوله لمعنى لكن ذلك على خلاف المشهور في اصطلاحهم"[1] والمقصود بوضع اللغة عنده –حسب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح–جعله أولا لمعنى من المعاني مع قصد أن يصير متواطأ عليه بين قوم، ومتواطأ هنا في هذا التعريف بمعنى أنه متواضع عليه[2].

ويكون الوضع أيضا حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من الدلائل تسمى code مثال ذلك: طاولة مسطحة وضعت للأكل أو الدراسة عليها، لها صفة خاصة أو مربعة أو مستطيلة مصنوعة من الخشب أو البلاستيك؛ فكل هذه الصفات والدلائل على هذا الشيء (طاولة) هي شيء موضوع لغوي، وهناك غير لغوي كإشارات المرور والصم البكم ...الخ[3].

وهنا نستحضر قول الجاحظ عن الدلائل المعروفة في زمانه:" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء...أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد (نوع من الحساب بالأصابع) ثم الخط ثم الحال التي تسمى نِصبة..أما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ...والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ...ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص..والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف وحسن الإشارة باليد والرأس

[1] الرضي الاستربادي، شرح الكافية، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1966، ص 5.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 26.

[3] المرجع نفسه ، ص ص26–27.

من حسن البيان باللسان ...أما الخط فقالوا البيان مقصور على الغريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للعابر والخائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ من كل مكان ويدرس في كل زمان واللسان لا يعدوا سماعه ولا يتجاوز إلى غيره...أما النِصبة فهي الحال الناطقة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض وفي كل صامت وناطق... فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الشهادة كما خبَّر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال وكما ينطق السمن وحسن النظرة عن حسن الحال"[1].

وقد ذكر السيوطي قولا لأبي إيار شارحا فيه قول ابن عبد المعطي: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع...لأن واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات، بل ترك الجمل إلى اختيار المتكلم، يبين ذلك أن حال الجمل لو كانت حال المفردات لكان استعمال الجمل وفهم معانيها متوقفا على نقلها عن العرب"[2].

وقد نقل الأستاذ عبد الرحمن قول السيوطي إذ يقول: "لا يجوز إحداث المفردات كما لا يجوز إحداث التراكيب" كل ذلك أمور وضعية والوضع يحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان وموضوع علم النحو أمور كلية وموضوع علم اللغة أمور جزئية وقد اشتركا في الوضع"[3].

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998 ج1، ص ص 76 _78.

[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، ج1، بيروت،1998، ص 40

[3] السيوطي، المزهر، المصدر السابق، ص43.

أما أقدم المتكلمين وهو الشافعي وأول من ألف كتابا في أصول الفقه، لم تظهر لفظة المواضعة عنده ولم تظهر أيضا عند الجاحظ ومعاصريه كالأخفش والمازني والمبرد بل استعملوا مصطلح "حقيقة اللغة" أما عند الجاحظ استعمل لفظة "اصطلاح على" وتدل على "التواضع" قال ابن السراج:" ومحال أن يصطلح أهل اللغة على ما يلبس" فالاصطلاح يساوي الوضع[1] .

وقد ظهرت لفظة "وضع" واشتقاقاتها في زمن ابن السراج وتلاميذه، وأول فيلسوف استعملها هو أبو نصر الفارابي يقول:"...الألفاظ قد استعملت دالة على معانيها للدلالة عليها وضعت منذ أول ما وضعت وتستعمل دالة على معان أخرى على اتساع ومجازًا واستعارةً واستعمالها مجازا واستعارة تستعمل هو بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي وضعت من أول ما وضعت".[2]

كما استعمل القاضي عبد الجبار لفظ المواضعة كثيرا ولفظة التواضع وهو من المتكلمين في كتابه (المغني) فقال:" المواضعة على اللغات...فلو لم يتواضعوا عليها لما صح في لغات أدلة تفهم بها الأغراض يقع بها التخاطب" وتعمق في دراسة المواضعة في كتابه خلق القرآن، أما عن وضع اللغة عنده فمهيأ للإفادة فإن لم تحصل الإفادة لأسباب ترجع إلى عجز المتكلم وظروفه.[3]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 31.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص ص32-33.

والكلام عند القاضي عبد الجبار –حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– حقائق علمية لم يسبقه إليها أحد، عارف بكيفية الكلام (قادر+عارف)، وهو يقابل دائما بين اللغة كمواضعة وبين الخطاب كاستعمال فعلي للغة، وما ذكرنا من كلامه يمكن أن يلخص بهذه المعادلة:

لغة/خطاب = مواضعة/استعمال.[1]

ثم إن عبد القاهر الجرجاني* في دلائل الإعجاز تنبه –حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– إلى أن المتكلم لا يستطيع أن يمس اللغة قال:" فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد إذا نظرنا إلى المتكلم وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ شيئا ولا أن يحدث فيه وصفا كيف وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلما لأنه لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع اللغة على ما وضعت هي عليه"[2].

وهنا نستحضر معنى الاعتباطية "Arbitraire" عند ديسوسير لأن هذه العلاقة لا تؤسس على شيء معين لا عقلي ولا طبيعي، كما هو الحال عند أرسطو قديما فهو مع التواضع؛ أي: لا توجد علاقة بين اللفظ والمعنى وتعريف الاسم عنده هو: " لفظة دالة بتواطأ مجردة من الزمان" والمواطأة تعني المواضعة التي استعملها القاضي عبد الجبار[3].

وقد سعى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى ربط الماضي بالحاضر وإظهار استمرارية الفكر اللغوي لأن اللغة متطورة أبدا، واللّغوي الحق هو الذي يدري ما وراء اللغة

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 33.

* يصعب على الباحثين تصنيف عبد القاهر الجرجاني هل هو نحوي أم بلاغي؟، فقد صنفه السيوطي في كتابه "بغية الوعاة" ضمن النحويين، وتدل كتب عبد القاهر الجرجاني أنه كان مهتما بالنحو فقد قضى جل حياته في استخلاص الوجوه من الفروق في ائتلاف الكلم وتعلق بعضها في بعض، كما أنه يستخدم النحو ومعانيه في بيان تفاوت الكلام في درجات البلاغة والبيان، لذا يعد من النحويين البلاغيين كما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح./ينظر: معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص331.(الهامش).

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص37.

ويتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها[1] وما قدمه "الحاج صالح" دليل قاطع أن اللغة متطورة، فقد تفرد علماؤها القدماء بآرائهم الدقيقة والعلمية، لدرجة تجعلها تضاهي أفكار المحدثين، فبعد تقديمه مفهوم اللّفظة في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، يخلص إلى أن هذا المفهوم لم يذكره اللّسانيّون الغربيون، واقترح ترجمتها (lexie)[2]، وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما هو موجود في اللسانيات البنيوية والتوليدية والتحويلية، وخلص إلى أن هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقا[3].

1-3 العلاقة بين النحو والبلاغة.

قد نبَّه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى ما سمي بعد سيبويه بالوضع والاستعمال كما ذكرنا، ثم إن البلاغة تحتاج أيما احتياج إلى مفاهيم النحو، وفي نفس الوقت هي –أي البلاغة– لا تهتم بالصيغ النحوية كصيغ، بل اهتمامها ينصب حول المتكلم واختياره لبعض الصيغ وترك بعضها في كل حالة خطابية لغرض معين وهذا الغرض هو فحوى علم البلاغة.[4]

وأما عن اتحاد النحو مع البلاغة فهو في الاهتمام بالتراكيب وخاصة في تنوعها بالنسبة للمعنى الواحد، وقد أثبته النحويون في إطار مقابلتهم بين اللغة والكلام، أي بين اللغة واستعمالها، وهي أساس نظريتهم اللسانية التي بنيت عليها علوم العربية، فهي من وضع النحاة الأولين مثل الخليل وسيبويه، واشتهرت هذه المقابلة بعدهم باصطلاح خاص هو الوضع والاستعمال وذلك ابتداءً من الزجاجي في القرن الرابع الهجري، ولئن كان هذا هو الأساس الذي بنى عليه فرديناند ديسوسير مقابلته بين "Langue"و"Parole" فإن النظرية

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 2005، ص 22.

[2] ينظر،عبد الرحمن الحاج صالح:بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المرجع السابق، ص 219.

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص11.

العربية هي الأعمق والأوسع بكثير من النظرية التي جاء بها العالم السويسري كما قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وقد ظهرت بعد ديسوسير نظريات في الغرب تهتم باستعمال اللغة فظواهر الاستعمال تخضع لقوانين، إذ عارضوا ديسوسير بأن الكلام فردي لا يمكن أن يخضع لدراسة علمية فاللغة كنظام من الأدلة Système de signes هي وحدها جديرة بذلك عند ديسوسير .[1]

وإن اللغة هي في مقابل النحو مجموع المفردات والتراكيب(الأوضاع) التي سمعت من الناطقين العرب الموثوق بعربيتهم (كلام العرب الفصحاء زيادة عن القرآن) ويشكل هذا المجموع ما يسمى بدواوين العرب (شعرا ونثرا) وهي عبارة عن معطيات إذ ليست مستنبطة أو ناتجة عن قياس سابق، أما النحو فهو الصورة لهذه المادة يستنبطها النحو باستقرائه لكلام العرب والنص القرآني (أول نص استُقرئ) وهي مجموعة من المقاييس تفرع عليها الفروع انطلاقا من الأصول التي هي أوضاع اللغة، أما البلاغة فهي صفة لكيفية استعمال المستعمل لهذه المعطيات اللغوية، وهذه المقاييس النحوية إفرادً وتركيبا فدراستها تخص الجانب الاستعمالي للغة "Pragmatic"، أو بعبارة أخرى دراسة اختيارات المستعمل للغة للإمكانيات اللانهائية التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها: الصوتي، الصرفي، النحوي والدلالي، وقد قسم العلماء قديما البلاغة بحسب الدلالة إلى علم المعاني وعلم البيان وهو تحديد يوحي بنظرة عميقة لفكرهم حسب قول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.[2]

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق ، ص12.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 345.

2- علاقة البراغماتيك الغربية بنظرية الخطاب العربية عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

أراد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال هذا الطرح أن يوضح الفرق بين ما تناولته البراغماتيك الغربية أي علم التداولية، ومقارنتها بما جاءت به نظرية الخطاب العربية، وهل هناك تشابه بينهما؟

إذ يقر الأستاذ أن اللسانيات السوسيرية في أوروبا وحلقة براغ لم تهتما بالخطاب والكلام كاستعمال إلا القليل منهم*-حسب رأيه-، والسبب يكمن في أن اللغة وحدها تكوِّن نظاما، رغم اهتمام الجميع بالوظيفة التواصلية للغة، والذي كان يهمهم من التخاطب هو أن لا يصيبه أي التباس، كما أنهم لم يتجاهلوا الجانب الدلالي للغة لكنهم لم يعطوه الأهمية التي يستحق.[1]

وقد تناول تشومسكي أحد معارضي البنوية الجانب التركيبي من اللغة، وقد جعله منطلقه الأساسي في دراسته اللغوية -حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح- والأصل الذي يتفرع منه الجانب اللفظي والمعنوي من اللغة، وقد أحيا مفهوم "التحويل" وجعله امتدادً لا مناص منه للنحو التوليدي...ولا يحاول تشومسكي هنا أن يدرس التراكيب خارج عن اللفظ وما يقترن به من الأدلة غير اللفظية في إطار التخاطب.[2]

وظهر علم التخاطب عند بعض فلاسفة اللغة الأمريكيين ومنهم المؤسس لعلم السيمياء (Simiotics) شارل سندريس بيرس (Charles Sandres Peirce) وانطلق في ذلك من

* ويخص بالذكر شارل بالي (Ch.Bally) تلميذ سوسير نفسه، وأحد محرري وناشري "دروسه"، فقد اهتم اهتمام كبيرا بدراسة الكلام، وهو أول من استعمال لفظة (Stylistique) أي"علم الأسلوب"/ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 209 (الهامش).

[1] المرجع نفسه، ص 209.

[2] المرجع نفسه، ص 210.

الثلاثية الدلالية الأرسطية (اللفظ، المعنى، الشيء[1]) معتمدا على ما قاله أرسطو وما أضافه الغربيون في العصور الوسطى...أما البراغماتيك التي يقابل بها النحو من جهة والدلالة من جهة أخرى فقد كان اختياره لها جد مناسب لأنها تمثل الجانب الاستعمالي للغة، ففي هذه الكلمة نجد الكلمة اليونانية "Pragma" ومعناها "العمل أو الشيء الموجود في الواقع ، وفي كلمة الاستعمال التي جاءت في مقابل الوضع[2]، أو وضع اللغة معنى العمل بالشيء واستخدامه .[3]

أما فيما يخص الجانب البراغماتيكي الذي أدخله بيرس وموريس في دراسة الغربيين للأدلة، فهو يدخل عند النحاة الأولين في كل ما يقولونه عن المخاطب وحال الخطاب وأفعال المتكلم بكلامه ودور الأدلة المبهمة، فلا يستغني سيبويه مثلا عن ذكر ما يقوم به المتخاطبان من أفعال أثناء التخاطب، وأيضا ما توسع فيه البلاغيون في ميدان النظم من إفادة مختلف التراكيب لمختلف النكت في مواضع وسياقات معينة، وميدان المجاز والاستعارة والكناية وغيرها.[4]

واهتم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بتبيان أهم الفوارق بين البراغماتيك والرؤية العربية للخطاب فقد جعل اللغويون الغربيين البراغماتيك ميدانا قائما بذاته وقابلوه بالتراكيب والدلالة، وهذا تقابل صحيح –حسب قول الأستاذ– حيث إن الأدلة ومدلولاتها شيء ، واستعمالها شيء آخر، وللعلماء العرب نظرة أخرى هي أدق وأجمع –كما وصفها الأستاذ– لأنها لا تفصل بين الأركان الثلاثة بسبب خصوصية كل واحد منها كما يفعل "موريس"

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق ، ص 210.

[2] المرجع نفسه، ص 211.

[3] المرجع نفسه، ص 210.

[4] المرجع نفسه، ص 214.

و"بيرس" إذ إنهم يجمعون بين التراكيب والدلالة أي اللفظ والمعنى وينظرون فيهما معا من جهتين، في الوضع وفي الاستعمال.[1]

وقد عالج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كتاب "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" ما هو الآن موضة – حسب قوله– فأكبر اللسانيين في أوروبا حاليا يعالجون اللسانيات من خلال الخطاب والتخاطب؛ إذ يقول: "أنا الوحيد الذي استعمل "الخطاب والتخاطب" وهما مصطلحان عربيان أصيلان ليس كما يفعله المنبهرون بالغرب إذ يسمونه "التداول أو التداولية" وهذا المصطلح ظهر في المغرب الأقصى ترجمة لكلمة Pragmatics-Discours؛ هي لا بأس بها لكن الأجدر العودة إلى ماهو موجود في التراث ومن هنا يمكننا طرح الإشكال الآتي: هل هناك علاقة بين البراغماتيك الغربي وعلم المخاطب العربي؟

للإجابة عن هذا التساؤل يجب أن نشير إلى العلاقة بين علم التداولية pragmatics كعلم غربي حديث والذي يدرس اللغة أثناء الاستعمال(المتكلم/المخاطب) باعتبار أن الخطاب يوجه من أحد الطرفين وبين علم المعاني أحد فروع علم البلاغة العربي والذي يُعنى بأحوال المتخاطبين وبه تعرف أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال.

2-1علم المخاطب فرع من علم البلاغة.

اشتهر الجرجاني وهو أحد أعلام الدرس البلاغي العربي الذي يعد من مؤسسي البلاغة العربية –حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– بقوله:" لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، ينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد منطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إنْ تخرجْ أخرج وإن خرجتَ

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 215.

خرجْتُ وإن تخرج فأنا خارجٌ وأنا خارج إن خرجتَ وأنا إنْ خرجتَ خارجٌ، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيدٌ مسرعاً وجاءني يسرعُ وجاءني وهو مسرع أو وهو يسرع، وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع، فتعرف لكل من ذلك موضعه...وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو يجيء بـ (ما) في نفي الحال وبـ(لا) إذا أراد الاستقبال وبـ(إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون وبـ(إذا) فيما علم أنه كائن، وينظر في الجمل تسرد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل"[1]...وهذا ما وضحه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في عبارة (وجوه كل باب) أساس الدراسة البلاغية عند العرب[2].

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص 81 وما بعدها.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص ص 346-347.

وتجدر الإشارة أن الذين جاؤوا بعد الجرجاني قد ألفوا كتبهم على منواله، والذي يقصده الجرجاني هو تصرف المتكلم في الكلام بحيث ينتقل من وجه إلى وجه ابتداءً من أصل وهو أقلّ هذه الوجوه لفظا ومعنىً؛ أي ما ليس فيه زيادة إطلاقا وهذا الأصل بالنسبة للخبر هو المبتدأ والخبر مجردين من كل زيادة وبالترتيب الأصلي المذكور، وبتصرف المتكلم انطلاقا من هذه النواة من الكلام حسب ما تقتضيه دلالتها الوضعية الأصلية ومجموع هذه الدلالات الفرعية تكون وضعا ثانيا غير الوضع الأول[1]، ويمكن أن نسميه الوضع البلاغي "Expressive"، ثم إن هذه الدلالات هي التي تستلزمها حال الخطاب بما فيها أغراض المتكلم وهو الذي يسميه المتأخرون بمقتضى الحال، مثال ذلك[2]:

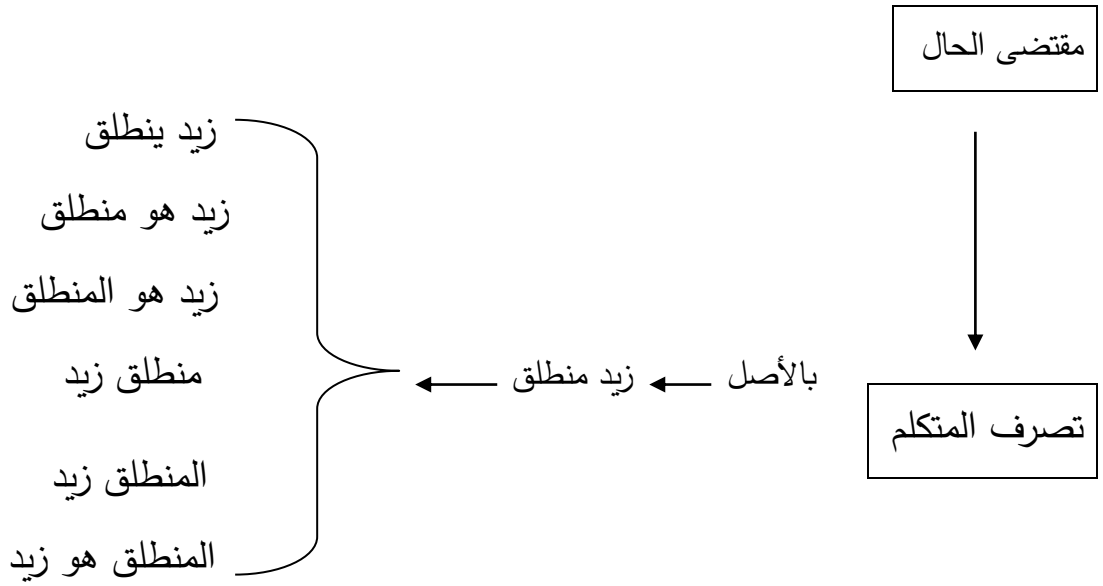

وقد نبه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى علاقة البلاغة الجرجانية[3] وبالتحويل عند هاريس[4]، وقد اعتمد هذا الأخير على المذهب الاستغراقي الأمريكي "Distributionalism" ؛ إذ يتصف هذا المذهب بامتناعه من النظر في كل ما هو خارج

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق، ص347.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 347.

[3] ينظر: معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق ص335.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص345.

عن اللفظ المسموع؛ أي: ما لا تدركه حاسة السمع؛ إذ ما تحمله العناصر اللغوية من القرائن يمينا وشمالا، أو كل ما يمكن أن تقترن به على مدرج الكلام وذلك مثل: أعطر الرجل الولدَ تفاحةً، أعطر زيدٌ القطَ اللبنَ، أعلم الرجلُ الولدَ الخبرَ، فالظاهر أن مفردة: (الرجل) و(زيد) من جهة و(أعطى) و(أعلم) من جهة أخرى يندرج كل منهما في فئة واحدة من أجل تكافؤ الموقع، فهذا قريب جدا من التحليل العربي[1] حسب رأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، إذ يستنبط النحاة الأحكام من مجرد وقوع العناصر في مواضع معينة وامتناعها من الوقوع في غيرها دون أن يلجأ إلى المعنى.[2]

وهنا أراد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن يبين الفرق بين اهتمام النحو واهتمام تحليل الخطاب من خلال عرضه للتحليل الاستغراقي بين هاريس والجرجاني إذ يقول: وهذا وإن كان مهما بالنسبة للنحو –التحليل الاستغراقي– فليس هو المهم بالنسبة لتحليل الخطاب؛ لأن الخطاب هو نسق من الجمل وليس للجمل مواضع على مثل المواضع التي تقع فيها المفردات، ولهذا السبب حاول هاريس –أستاذ تشومسكي– أن يجد وسيلة تمكنه من تجاوز مستوى الجملة، ووجد ذلك في حمل الجمل بعضها على بعض فهذا الذي عبر عنه الأستاذ عبد الرحمن الحاج بالحمل*، ويسميه هاريس بالتحويل "Transformation".[3]

أما فيما يخص التحليل البلاغي العربي حسب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ويخص بالذكر البلاغة الجرجانية فهي قبل كل شيء دراسة موقعية –قسمة المواقع كما يسميها العرب– حملية لنص معين لبيان مزايا الأسلوب الذي اختص به النص بالذات لأن اللغة عند العرب هي في مقابل النحو مجموع المفردات والتراكيب(الأوضاع) التي سمعت من الناطقين العرب الموثوق بعربيتهم (كلام العرب الفصحاء زيادة عن القرآن) ويشكل هذا

[1] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص344.

[2] المرجع نفسه، ص344.

* الحمل: مصطلح عربي قديم يحدد به القياس، إذ هو حمل الشيء على شيء في الحكم لجامع بينهما، المرجع نفسه، ص344.

[3] المرجع نفسه ، ص344.

المجموع ما يسمى بدواوين العرب (شعرا ونثرا) وهي عبارة عن معطيات إذ ليست مستنبطة أو ناتجة عن قياس سابق[1] كما ذكرنا سابقا.

ثم إن اتصال البلاغة بالتحويل راجع حسب رأي الباحثة "معالي هاشم" إلى دراسة البلاغة للغة حال الاستعمال فضلا عن المعنى الذي يعد الأساس في العملية التواصلية وهذا يعتمد على الطرق التي يسلكها المتكلم لإيصال وإدراك المعنى، ثم على الأدوات التي يعتمد عليها في تأويل مقاصد المعنى[2]، ولهذا فقد اهتم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بعلاقة البلاغة بالتداولية ولا سيما في التركيز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتعيين العناصر المشاركة في التخاطب، وهي عند القدماء (المتكلم، المخاطب، السياق..) كما تظهر أيضا عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في معالجته لموضوع ثنائية الوضع والاستعمال وفق نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.[3]

والجدير بالذكر أن ما وقعت فيه اللسانيات البنوية من خطأ نبَّه عليه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في قوله: "إن العيب الذي وقع فيه أصحاب المذهب البنوي في اللسانيات الحديثة ليس فقط كونهم حصروا موضوع بحثهم في اللغة في حد ذاتها، بل أنهم انطلقوا لدراسة اللغة من الكلام الذي تم إخراجه أي بعد أن ينتهي منه صاحبه ويصل إلى صماخ السامع... اهتموا بالنص كمنتوج دون عناية بأحوال إحداثه، ولهذا قيل أن البنوية تهتم بالسامع ولا تراعي المتكلم، فلهذا السبب يحاول الباحثون منذ زمان غير بعيد أن يحلوا ظاهرة الكلام محلها الطبيعي وهو دورة التخاطب[4]".

وقد أشار الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بين العلوم اللغوية التي تتداخل فيما بينها وهي علم النحو وعلم الدلالة وعلم التداولية وقد ذكر في هذا الصدد جهود أحد الفلاسفة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص345.

[2] معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص 341.

[3] المرجع نفسه، ص 342.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص 349.

الأمريكيين وهو Ch.Morris وقد ميز هذا الأخير بين ما هو علاقة بين الأدلة في أنفسها فسمّاه Syntaxe أي النحو، وما هو علاقة بين الأدلة وعانيها ومسمياتها فسمّاه Semantic أي الدلالة، وما هو علاقة بين الأدلة ومستعمليها فسمّاه Pragmatic فاستحسن هذا التقسيم اللغويون، وانتبهوا إلى أهمية هذا التمييز وعظمة الأضرار التي يسببها الخلط بينها في البحث اللغوي.[1]

وأبرزَ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح دور العلماء العرب وما أظهروه من اهتمام كبير جدا لدور المتكلم وتصرفاته بحسب أغراضه وبمقتضى الحال وكذلك أحوال السامع وغير ذلك مما له دور هام في عملية التخاطب، وأما الغربيون فلاحظوا هذه الظاهرة وأقاموا بذلك نظرية متماسكة وثرية، فمن ذلك تمييز رومان جاكبسون بين العناصر اللغوية التي لها مدلول ثابت، والعناصر التي لا يمكن أن تدل إلا بالإحالة إلى حال الخطاب ويسميها "Shifters" وذلك مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والظروف، فليس لها دلالة معينة في وضع اللغة، وهذا تنبه له النحاة العرب فقسموا العناصر اللغوية إلى ما هو لازم لمعناه (أي اسم الجنس والعلم) وما هو متغير بتغير الخطاب وسموها بالأسماء المبهمة.[2]

وكان لأوستين J.L.Austin الفيلسوف البريطاني التفات حسن إلى أحكام الكلام –حسب وصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– وقد قسم أوستين الكلام إلى خبر وإنشاء(Locutionary/Illocutionary) كما سمّاه العرب، وقد قسم الكلام قبل هذا إلى (Constative/Performative) ومعناه أن المتكلم قد أثبت شيئا لشيء، أو يلاحظ شيئا فقط في حالة، وقد يقول قولا كالفعل مثل: أُعلنُ وأَعِدُكَ، وقد سبقه العلماء العرب بتقسيم أدق للكلام إلى طلبي وإيقاعي، فالإيقاعي مثل: بِعْت/اعتدت هو ما يتم بمجرد التصريح به

[1] عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق ، 349.

[2] المرجع نفسه، ص 350.

بالقول، فكل هذه المفاهيم والتقسيمات تساعد المحلل للنصوص لأنها توضح ماهية العملية التبليغية، وللعلماء العرب تفهم عميق لكل هذه الظواهر حملهم على ذلك تحمسهم الخارق العادة لدراسة العربية لغة القرآن [1].

2_2 تعريف البراغماتيك (التداولية):

إن البراغماتيك أو التداولية مصطلح غربي ظهر حديثا في أمريكا ثم انتقل إلى فرنسا ثم أخذه العرب دون وعي منهم أنه موجود في التراث، إن الpragmatics"، أو كما يسميها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (ظواهر التخاطب أو ظواهر الاستعمال) فقد قال عنها في معرض حديثه عن المبدعين وهو سيبويه والخليل في كتابه –وهو أقدم ما وصل إلينا من كتبهم وأوفاها– إذ يحوي ما عالجه أصحابه وأتباعه وهو أساسا الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة ولم يكن هذا الميدان –مع ذلك– مجرد نحو وصرف كدلالة الحال وغيرها... ثم اعتد سيبويه كثيرا بظواهر الاستعمال ومنها نظريته في ظواهر التخاطب "Pragmatics"وكل هذا يدخل في الميدان الواسع المسمى بعلوم اللسان.[2]الذي درسه البلاغيون العرب القدامى وأولوه أهمية كبيرة.

أو كما يعرفها البعض بأنها ذلك المجال الذي يركز مقارباته على "الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم، وهذه دلالة حقيقية أن لبَّ النظرية التداولية متمركز في إعداد مجموعة من الشروط والوسائل التي يكون فيها القول ناجحا ومقبولا لدى المتلقي في المواقف التواصلية المختلفة باختلاف الظروف الزمانية والمكانية وأوضاع المتلقين.[3]

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص350.

[2] ينظر: معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص 303.

[3] واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه في اللسانيات، جامعة وهران، 1011–2012، ص 94.

وقد أحدثت التداولية تغييرا طال هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح أفاقا أرحب، وأنتجَ أسئلة جديدة ستكون مسوّغا للاعتراف بالتداولية كأحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة؛ البحث الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية. extra linguistique والمتعلقة بالسياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال والأفعال اللغوية أو بعبارة التوليديين أصبحت جزءا من دراسة الإنجاز part of performance .[1]

وقد أولت التداوليات الحديثة عناية كبيرة لعنصري المتكلم والمخاطب انطلاقا من الاعتقاد بأن الخطاب يتوجه (من وإلى) أحد الطرفين، وكذا بالنظر إلى طبيعة التفاعل اللساني الذي يوجه الكلام ويحدد مساره إلى درجة ذهب معها (ليتش) إلا أنه لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصة عنصر المتكلم والسامع.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن علماء البلاغة المسلمين قد اجتهدوا، خاصة في علم المعاني الذي يعتبر من أهم العلوم التي تدرسها البلاغة والذي يُعنى بأحوال المتخاطبين وبه تعرف أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال[3]، يدرس فليبين أدوار ووظائف المتكلم والمخاطب في نجاح العملية التواصلية وتوجيهها وتحديد مسارها الدلالي والتداولي.[4]

أما بالنسبة لعبد الرحمن الحاج صالح فقد حبَّذ ترجمة مصطلح pragmatics (بظواهر التخاطب) أو (ظواهر الاستعمال)، وهي ليست بمنأى عما ذهب إليه العلماء العرب القدماء–على حد تعبيره– فضلا عن التفريق بين آليات علم الدلالة والتداولية؛ إذ يدرس علم

[1] إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، المجلد 33، العدد الأول، يوليو_سبتمبر 2004، ص 246.

[2] المرجع نفسه، ص 246.

[3] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص 22.

[4] ينظر: إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، ص 261.

الدلالة المعنى، ويدرس علم الاستعمال اللغة في الاستعمال[1]، وأكد الأستاذ "عبد الرحمن الحاج صالح" أن كيفية استعمال اللغة شيء، وبنية اللغة في ذاتها شيء آخر وتفسير هذا بهذا يؤدي إلى مأزق، فكل منهما ميدان خاص وهي من حيث دلالة ألفاظها اعتباطية وليست منطقية ولا عقلية، أما الخطاب فهو عند حال الاستعمال الفعلي للغة، فقد تدل الألفاظ على معنى وليس هو المراد[2].

كما وجه "عبد الرحمن الحاج صالح" أنظارنا إلى قضية مهمة وهي علاقة البلاغة بالتداولية، ولاسيما في التركيز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتعيين العناصر المشاركة في عملية التخاطب، وهي عند القدماء (المتكلم، والمخاطب، والسياق)، وهذا ما شكَّل التوافق والتقارب بين البلاغة والتداولية، كما تظهر في معالجة ثنائية الوضع والاستعمال على وقف نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.

وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين العلمين، إلا أن الدارسين يحاولون التّفريق بين آليات علم الدلالة التي تصب في صميم دراسة المعنى، وآليات التداولية التي تحاول أن تفسر الاستعمالات الفعلية، والفرق الجوهري بين العلمين أيضا هو: أن علم الدلالة يدرس المعنى مستقلا عن السياق الذي يرد التعبير فيه، في حين تهتم التداولية بدراسة معنى العبارات عن طريق العلاقة مع سياق التعبير؛ ذلك أن دراسة المعاني يمكن أن يكون على مستويين مختلفين نسبيا، فبينما يتناول علم الدلالة المستوى الأول؛ وهو مستوى ما قبل التحقق السياقي في مقام التخاطب (علم الدلالة)، ومستوى ما بعد التحقق السياقي (علم التداولية).

وبذلك يتضح أن علم الدلالة يدرس الكلام مستقلا عن السياق، في حين تدرس التداولية المنجز اللغوي في سياقه التواصلي، وليس بمعزل عنه لأن وظيفة اللغة الأساس هي الإخبار والتبليغ في إطار التخاطب والتواصل؛ أي ربط الاتصال بين المتخاطبين، ومن ثم يشكل المتخاطبون دورة يسميها "عبد الرحمن الحاج صالح" بـ (دورة التخاطب)[3].

---

[1] ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المرجع السابق، ص 8 وما بعدها.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1،المرجع السابق، ص294.

[3] المرجع نفسه، ص 351.

دورة التخاطب عند العلماء العرب[1]:

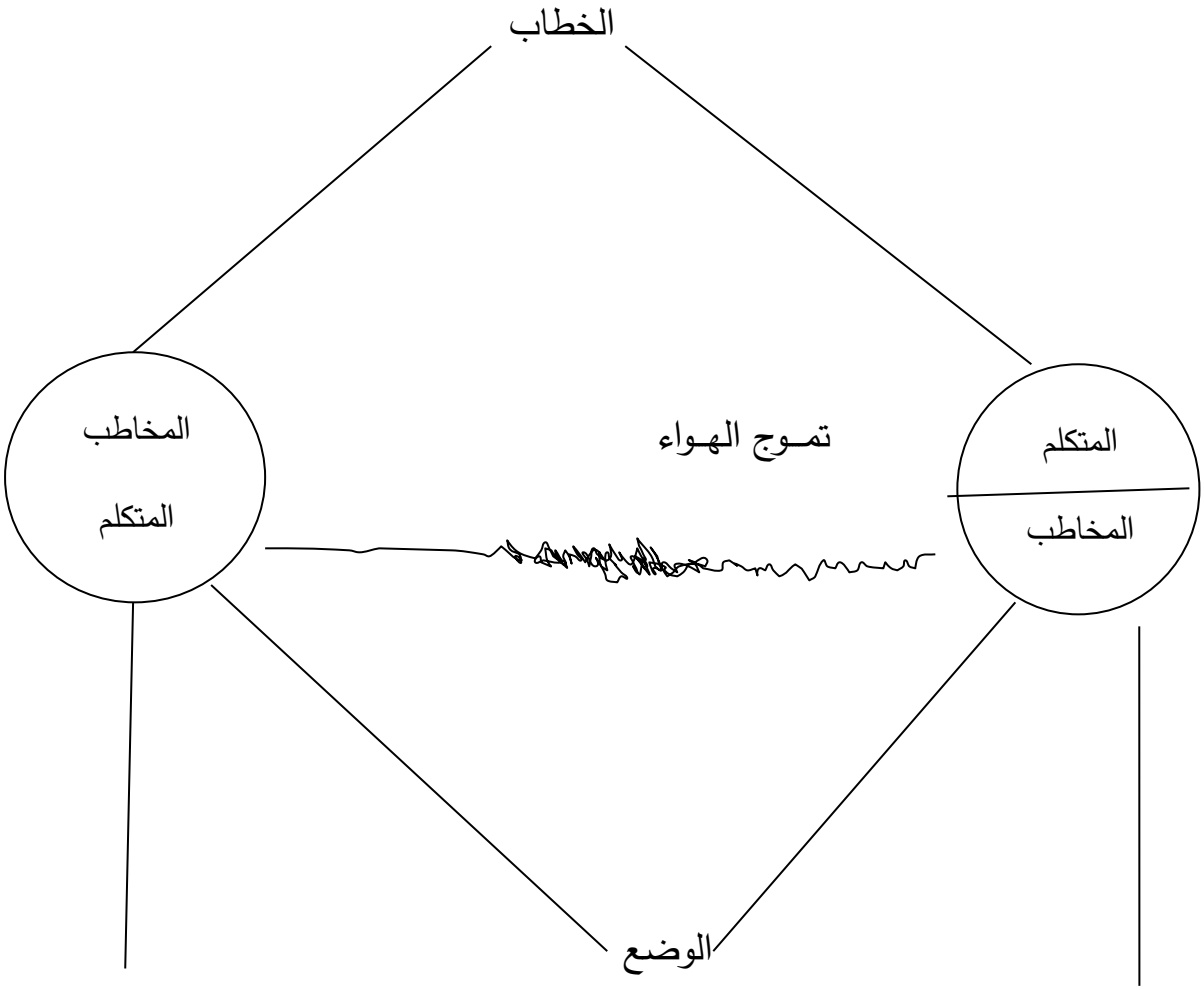

يستعمل المتكلم الوضع لإحداث الخطاب

أغراض ← معان ← ألفاظ

يحمل المخاطب الخطاب على الوضع:

ألفاظ ← معان ← قرائن ← أغراض

[1]عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق،ص351.

وهذه الدورة تتكون من العناصر الآتية[1]:

- المرسل: وهو المتكلم أو المخاطِب.
- جهاز الإرسال وهو عند الإنسان؛ الجهاز العصبي الصوتي محدث الأصوات.
- المرسل إليه: أي السامع أو المخاطَب.
- جهاز الالتقاط وهو عند الإنسان؛ الجهاز السمعي (الأذن).
- القناة التي توصل الخطاب؛ وهي في حال المخاطبة بالمشافهة الهواء، وفي حالات أخرى كل مادة موصلة للأصوات.

2-3 فهم الخطاب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

2-3-1 المعنى بين السياق وعلم المخاطب.

كنا قد ذكرنا سابقا أن اللغة وضع واستعمال عند "عبد الرحمن الحاج صالح"، وقد وصف التخاطب بأنه مادي يتمثّل في الأصوات والكلمات، لكن قد يتعطل هذا التخاطب من حيث الإفهام لأسباب مختلفة خارجة عن الوضع، تتعلق أساسا بالسياق اللغوي وغير اللغوي أي: القرائن الخارجة عن اللفظ (سياق الحال) context situation لهذا يصرح فيرثFirth بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة، وعليه تتطلب دراسة المعاني على الدوام تحليلا للسياقات وللمواقف التي ترد فيها حتى ما كان غير لغوي[2]، والذي أهمله دارسوا اللغة قديما وتداركوه فيما بعد وسمّوه دلالة الحال، وهي دلالة غير لفظية تتعلق أساسا بالمتكلم والمخاطب والسياق الخارجي وعلم المخاطب؛ وهو علمه بمواضع الكلم في الكلام فهو علم بحدود الكلام ومواقع عناصره، ما

[1] معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص304.

[2] إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه ، المرجع السابق، ص 255.

يدخل في ملكته اللسانية؛ وهو علمه غير النظري باللغة وكيفية استعمالها ودرجة إجادتها، لماذا؟ لأن المخاطب يعلم أن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعل لكثرة استعمالهم إياه.[1]

وهذا العلم (علم المخاطب) قرينة عظيمة من بين القرائن الأخرى التي لها تأثير كبير على فهم فحوى الخطاب، وقد تناوله علماء البلاغة العرب من بينهم "الجاحظ" الذي ذكر:« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما...فلكل مقام مقال[2] » ، فالمقام يخص المتكلم وما ينبغي أن يلتزم به من العبارات وليس مجرد حال مشاهدة تساعد المخاطب على فهم الخطاب، وهذا عند البلاغيين المتأخرين هو مقتضى الحال.[3]

2-3-2 أنواع القرائن :

إن الغرض من ذكر أنواع القرائن هنا هو توضيح كيفية سبق العرب لهذا العلم –علم المخاطب قديما– وما ترجمه البعض حديثا وأبهروا به وهو (علم التداولية)، فقد تفطن أهل البلاغة قديما –كما سبق وأن ذكرنا– إلى أن العلاقة بين النحو والبلاغة وطيدة جدا، فالجملة عند قائلها تحمل دلالة معينة لا يعلمها إلا هوَ، فقد يريد المتكلم مثلا الاستفهام بأسلوب التهكم، أو قد يتعجب وهو ينفي، كل هذه الأغراض يتحكم بها المتكلم الذي تربطه علاقة بالمخاطَب –كما ذكر "عبد الرحمن الحاج صالح"– فللكلام تأثير اجتماعي يتواطأ فيه متكلم ومخاطب لإيصال مفهوم معين يحدث حالة نفسية يتشارك فيها الاثنان معا[4]، وهذا ما درسه علم المعاني وهو من فروع علم البلاغة العربي.

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 57.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون،ج1، ص 138.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 57.

[4] ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح: محاضرة ألقاها بجامعة المدية يوم 20017/02/06، موجودة على الموقع: http://youtub.com/user/MORSLIDJAMEL. 07/11/2020 /10 :43 .

كما يعتبر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح البلاغة العمدة[1] في عملية الاتصال اللغوي، يقول:" هي العمدة في الاتصال على اختلاف أنواعه وأشكاله سواء في المشافهة أو الكتابة، نثرا أم شعرا، في مقام انقباض أم في مقام أنس، ففي كل المستويات البلاغية موجودة، لأن المعبر عليه يختار العبارة التي تناسب المقام وتستجيب لحال الحديث ولو استرسالا ومن دون تأمل، فهو في جميعها يتوخى معاني النحو كما يقول عبد القاهر الجرجاني، ويردف[2] قائلا: في موضع آخر: البلاغة في مظهرها الأول أي كعلم للمعاني هي امتداد لعلم النحو لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد (لمعاني النحو)، وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو [3]، ويقول في موضع آخر: علم المعاني هو مرتبط في جوهره بالنحو (في معناه الواسع) وأنه دراسة لتلك الإمكانيات التي يسميها الجرجاني (معاني النحو) وتحصيل هذه المعاني عند الاستعمال أي تحصيل الخطاب في حال خطابية معينة.[4]

إن من بين القرائن التي تساعد في فهم الخطاب نجد:

أ_ ما يرى المخاطب من الحال:

وهو الحالة التي عليها المتكلم والمخاطب أي ما يشاهده بالعين المجردة أو حال الحديث عند "سيبويه"؛ وهي زمان الحديث، وأما ما يحصل وما يكون المخاطبان يشاهدانه،فهو الحال المشاهدة، ودلالة الحال المشاهدة السياق context situationnel أو situation de discours.[5]

[1]معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، المرجع السابق، ص 331.

[2] المرجع نفسه، ص 331.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المرجع السابق، ص225.

[4] المرجع نفسه ، ص 347.

[5]عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص ص 56_57.

ب_ ما جرى من الذكر:

وهو ما يسميه "المبرد" بتقديم الذكر وهو كل حال متقدم يساعد المخاطب على فهم ما جاء بعده، ويكون هذا أثناء التخاطب الذي قد يتجاوز كلام المتكلم الواحد، ويسمى contexe ويميزونه بأنه context varbal أي: الحالي هو المقام والمقالي هو المقال أي الكلام، وبعد سيبويه سموها الحالي/ المقالي وهو اصطلاح شامل ظهر عند الأصوليين.[1]

ج_ القرينة: أو (علم المخاطب)

سميت قرائن لأن اللفظ يقترن بها وتردفه؛ فالاقتران زماني ومكاني ونفسي وهذا ما تلخصه مقولة "الجاحظ" لكل مقام مقال"، إذ يعالج علم المخاطب حال المتكلم وحال المخاطب والظروف الزمكانية التي تحيط بهما لتصل الرسالة ويحدث الخطاب[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك قرائن وهي لفظية لكنها غير متكونة من حروف بل يقترن بها اللفظ مثل النبر وزيادة المد والنغمة من فعل المتكلم وله دلالة إلا أنه ليس حروفا ملفوظة.

وهذا التّنغيم والنبر يحدد كل منهما الجملة بدلالة خاصة تختلف باختلاف طبيعة التنغيم أو حدود النبر"؛ فالحدث اللغوي لا يجري في مستوى الأصوات وحدها ولا في مستوى المعاني منعزلة، بل يجري في مستوى اقترانهما وتشكلهما، وهذا التشكل هو جوهر اللغة بوصفها شكلا مجردا لا مادة تفقد الدراسة الصوتية قيمتها.

وقد مثل له "ابن جني" وحدد بعض وظائفه بوصفه أحد عناصر تحديد المعنى، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء فتقول: كان والله رجلاً !؛ فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق ، ص ص 57.
[2] المرجع نفسه، ص ص 57.

الكلمة، وتتمكن في تمطيط الكلام وإطالة الصوت بها وعليها؛ أي: رجلا فاضلا وشجاعا وكريما أو نحو ذلك .[1]

والنبر عندهم عنصر من عناصر تحديد المعنى، وهو ارتفاع الصوت، حيث لا يعمد المتكلّم نبر كلمة معينة في مثل هذه الجملة رغبة منه في تأكيدها أو التلميح بدلالة معينة في مثل هذه الجملة: هل سافر أخوك أمسا؟ فإذا نبر المتكلم على لفظ (سافر)، فهذا قد يعني أنه ظنّ أن حدثا غير السفر قد تمَّ، وإذا نبر لفظ(أخوك) فهذا يعني أنه ربما شكَّ في فاعل السفر.[2]

وهي كما قال ابن جني" سِيَر عليه ليل !" يريد: ليل طويل، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك[3].

فالقرينة الأولى: التطويح؛ وهي شدة النطق أو طول المد، وقد يكون نغمة في الكلام وتنوعها وكل ما يسمى الآن نبرا وله دلالة زائدة على اللفظ (المقطع) الذي هو فيه، وكذلك الإشارة كما قال الجاحظ.[4]

إذا اللغة في طبيعتها الأساسية نظام صوتي اصطلاحي يستند إلى البنى الأربع الصوتمية والمعجمية والتركيبية والدلالية، ولكنها في تحققها وإنجاز مستعمليها لها تستدعي شبكة من الأنظمة المتعددة كل واحد منها يفعل فعله في تحقيق الرسالة الأدائية، فإذا بالدلالة حصيلة تضافر أنظمة؛ إذا كان النظام الكلامي أهمها فإن سائرها يواكبه مكملا إياه، فمن ذلك النظام الإشاري حيث يتدخل ما ليس بلغوي في الإبلاغ اللغوي، ومن ذلك النظام النبر؛ فوق-

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق،ص ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص ص 74.

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] المرجع نفسه، ص 57.

المقطعي، ومن ذلك أيضا النظام السياقي والنظام الإيحائي ونظام المقام الذي يندرج فيه التخاطب باللغة.[1]

ويضيف الأستاذ عبد الرحمن دلائل أخرى يؤكد فيها أن الفكر البراغماتي كان موجودا عند سيبويه غير أنه لم يذكره بهذا المصطلح فقد استعمل النحاة الألفاظ الآتية: كلام ومتكلم ومخاطب، وسيبويه كان يستعمل لفظة حديث ومشتقاتها بدلا من الخطاب لكنه استعمل لفظة مخاطب وهذا دليل على وجود معنى الخطاب في ذهنه، وقد اهتم بكيفية الإفهام التي تحدث بين المتكلم والمخاطب، وأيضا هو لا يهتم بالمنطوق أي الكلام وتركيبه بل بما يحيط بعملية التخاطب، والأدلة التي تقترن بها عملية التلفظ بالكلام، كما لا يمكننا تجاوز كتاب سيبويه الذي يحتوي على الكثير من القضايا التي لها تعلق مباشر بما بشرت به التداولية الحديثة، وأكبر دليل على هذا الكلام هو تقسيم سيبويه للكلام إلى مستقيم حسن، محال، مستقيم كذب، مستقيم قبيح ومحال كذب وحكمه على أحد هذه الأنماط بصفة المستقيم الكذب هو ما يسمّى باللّحن التداولي الذي تنخرم فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية، النسبة الواقعية والخارجية والنسبة العقلية كما يعبر عنها البلاغيون وكذا التداوليون.[2]

2-3-3 المعنى بين الدلالة والتداولية:

تعد اللغة مجموعة من العلامات تترابط فيما بينها ترابطا علميا، ففي البدء نلحظ أن اللغة تقتضي بالضرورة قوانين تسيرها وتحفظ انتظامها، ولكن استعمال اللغة لا يتوقف على معرفة واعية لتلك القوانين، ومنطلق الأمر في قضية الحال أن الحدث الكلامي يكتسب تلقائيا عن طريق التحصيل بالأمومة؛ ذلك أن الظاهرة اللّسانية من شروطها الأولية أنها عقد جماعي يلتزم به الفرد ضمنيا بعد أن يحذف استخدام ما تنص عليه بنوده الصوتية والنحوية

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المرجع السابق ، ص 74.

[2] إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، المرجع السابق، ص 246.

والمعجمية والدلالية، ثم يضيف الأستاذ "عبد الرحمن الحاج صالح": أن العرف اللساني حدد وظيفيا اللغة بأنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع.[1]

إذ تتبني دراسة اللغة أساسا على مستويات عدة وهي: المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي والتداولي؛ هذان الأخيران أهم مستويين لأنهما يتعلقان بفهم المعنى وهما يرتبطان بكل المستويات ارتباطا وثيقا، وتمثل دراسة الدلالة قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من دراسة اللغة هي الاتصال والتفاهم.

وقد ارتبط مصطلح الدلالة بقضية الوضع والاستعمال المرتبط باللغة أساسا، كما قال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بأنه –أي الوضع– هو ما وضعه واصطلح عليه مجموعة من الناس، والاستعمال وهو تلك الحرية التي يملكها المتكلم في استخدامه للغة وهما ما يقابلان اللغة والكلام عند فرديناند دي سوسير، فما يسمع من المتكلّم لا يدل على المعنى الحقيقي له، بل لابد من معرفة دلالة الحال أو (علم المخاطب).

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص ص 30_31.

خلاصة الفصل:

وخلاصة لما تناولناه في هذا الفصل يمكن القول إن هناك فرق بين الأوضاع اللغوية الإفرادية والتركيبية وبين ظواهر الاستعمال لهذه الأوضاع، وأن تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات نخص الإفادة أو العكس؛ فتفسير ظواهر الإفادة والتبليغ بالاعتماد على اعتبارات تخص اللفظ هو غلط فادح، وسبب لأوهام كثيرة –كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح– لأن اللفظ في الوضع اللغوي يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى أما في الخطاب الخاص فإن لا يريد باستعماله إلا معنى واحد، فضلا عن أننا ننكر أن الدرس النحوي انطلق من المبنى فقط، لكننا لا نرى أن ذلك قد كان بسبب قيامه على الناحية اللفظية، بل أن الدرس كان ولا يزال مستوعبا لما هو لفظي ولما هو معنوي مما له صلة بنظام التركيب أو الجملة.[1]

ثم إن العلاقة بين علم البلاغة العربي وعلم التداولية الغربي هي أن علم البلاغة العربي قد تأسس عند العرب على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، وتمام الفائدة فضلا عن السياق، وجعله في مستوى المقام المحيط به، فيكون لوضع المخاطب الاجتماعي، الفكري، النفسي والثقافي أثر كبير في تكوين خطابه، ليصل إلى درجة تحقيق الانسجام والتوافق الذهني مع العناصر المساهمة في عملية التواصل، حتى ولو كان بعملية تحويلية (حذف، تقديم، تأخير، زيادة...) فالغرض من اللغة هي إيصال المعنى المراد[2].

أما علم التداولية الذي تأسس حديثا عند الغرب فهو يُعنى باللغة أثناء الاستعمال وربطها بالسياق أي بالظروف المحيطة بكل من المخاطَب، والمخاطِب ومن هنا نستنتج أن كلاهما –علمي البلاغة والتداولية– تهدفان إلى النظر في أحوال المتخاطبين في أثناء العملية التواصلية، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرص علم البلاغة العربي على

[1] معالي هاشم أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة ، المرجع السابق، ص298.

[2] المرجع نفسه، ص 339.

الاهتمام بها قد وجدت طريقها في حقل التداولية والتي اهتمت بدورها بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلي أو ما يعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.[1]

ويمكن القول إنّ الجانب الأهمّ من التراث عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هو الأصول العلميّة التي امتازت بها علوم اللّسان عند العرب عن غيرها،[2] والرّصيد اللّغوي القديم الذي خلّفه أسلافنا مادّة وبحثا جزء لا يتجزأ من هذا التّراث، وعليه يمثّل(التّراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكرية القديمة المتعلّقة بتحليل الظواهر اللّغوية بشكل عام وظواهر اللّغة العربيّة بشكل خاص وعبد الرحمن الحاج صالح يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج وما يقوله المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم اللّسانية، كالنحو التّوليدي والتّحويلي ونظريّة الخطاب وغيرها.

[1] معالي هاشم أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة ، المرجع السابق،ص 339.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المرجع السابق، ص7.

خاتمة

أردت من خلال هذا البحث تسليط الضوء على الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أحد أساتذة اللسانيات في الجزائر، الذي تميز عن اللسانيين العرب، كونَه لا يقرأ ما جاء في التراث اللغوي العربي وما جاءت به النظريات الغربية فقط، بل كان قارئا مستوعبا لما تميز به هذا التراث الثري، وناقدا لأصيله كاشفا لمزاياه، وعبقرية من وصفهم عباقرة الفكر اللغوي العربي ويخص بالذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والرضي الاستربادي وغيرهم، كما لا ننسى المرجعية الفكرية لهذا العالم الذي لم يكن جاحدا لعلم من سبقه من أعلام، كما تجدر الإشارة إلى تخصصه قبل اللسانيات في الطب والذي ساعده كثيرا في فهم ما جاء به الخليل الفراهيدي من فكر رياضي متميز سبق زمانه بمئات السنين.

ومن خلال ما سبق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

- يعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أحد أبرز اللسانيين في الدرس اللساني العربي الحديث وذلك على مدار نصف قرن من حياته، مجتهدا في التعريف بجهود النحاة العرب الأوائل في تعلق شديدٍ وإعجابٍ بها، مدافعا عن أصالة فكرهم وتبرئته من تهمة المنطق الأرسطي، خاصة في القرون الأولى من الهجرة وقد اجتمع في فكره عبق الأصالة ممزوجا بجديد الحداثة؛ مكنته قراءاته المتواصلة من أن يمتلك ثورة فكرية، ثقافية ولسانية فتجده واسع الاطلاع على مصادر الدراسات العربية والغربية على السواء، مميزا بين أصولهما، ولقد اجتمعت له أهم روافد المعرفة العربية من القديم الأصيل من جهة والأجنبية من المبتكر الجديد من جهة أخرى، رصيد أهَّله للخوض في الكتابة اللسانية بفهم مميز أصيل، ملم بأحوال النظريات المختلفة وما يوجه إليها من نقد.
- تحرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح العمق والدقة والموضوعية التامة مبتعدا عن الذاتية المتعصبة لا إلى القديم باسم التراث، ولا إلى الجديد باسم الحداثة، فالأصالة بمفهومها الصحيح عنده تأتي في مقابل التقليد لا في مقابل الحداثة فالأصيل الذي ليس نسخة لغيره، والتقليد عنده لا يعني الانغلاق على أفكار التراثيين، بل ينتصر

إلى فكرة الاجتهاد والعبقرية في القديم أو الحديث اعتقادًا منه أن العلم نسبي، ومن الخطأ الاعتقاد بالعصمة، أو إن الأول لم يترك شيئا للآخر فلم يكن يحتكم إلا إلى العلمية، فيخضع كل الأقوال إلى النقد والتمحيص مهما كان مصدرها عربيا أو غربيا.

- إن ما حصل من تأثير متبادل واسع في ميدان النظريات اللغوية ومناهجها التحليلية بين الحضارتين العربية والغربية منذ زمان يحتاج إلى أن يتفرغ لها، كما أن الكثير من المفاهيم العربية اللغوية وجب النظر فيها بجد وبموضوعية ولا سيما تلك التي لا تزال غامضة عند الكثير من اللغويين ويأمل الأستاذ أن تتضافر الجهود للحصول على تجديد كامل للسانيات العربية.
- إن المصطلحات سواء كانت تراثية أحياها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، أو منقولة عن الغرب وصوَّب ترجمتها بالرجوع إلى كتب عباقرة اللغة العربية؛ تنم عن الاهتمام الشديد للأستاذ، واطلاعه الواسع لما هو موجود في التراث وما طرأ في الغرب من نظريات وعلوم تخص اللغة، كما تجدر الإشارة إلى الدقة في الطرح والموضوعية الكبيرة التي تحلى بها.
- يقر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بأن المعجم العربي الحديث لم يتم نموه بعد وقد وُضعت المعاجم الكثيرة في شتى المجالات إلا أن النوع العام منه والمدرسي لا يزالان دون المستوى المطلوب كيفًا وكمًّا، ولم ينتج للآن معجما يساير ما وصلت إليه هذه الصناعة في عصرنا، إذ مازلنا نتبع منهج الاستقاء من القديم ولم يؤخذ بعين الاعتبار المستعمل الحقيقي من اللغة العربية والحل عند الأستاذ هو الإسراع في إنجاز مشروع الذخيرة العربية.
- إن الغاية القصوى من الذخيرة العربية هو إعداد بنك آلي لكل ما أنتجه الفكر العربي –من نصوص وليس المفردات فقط– وما بصدد إنتاجه، وجعله تحت تصرف أي فرد من الوطن العربي داخله وخارجه، أما بالنسبة للغة العربية؛ فهو "ديوان العرب" على شبكة الانترنيت الدولية، تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا، ويمكن أن "يسبرَ" لتجيب هذه المدونة على جميع الأسئلة بعد دمج النصوص وجعلها كنص واحد، ليتمكن الباحث من معرفة جميع المفردات والاصطلاحات العربية وهذا هو الجديد الذي ستحققه.

- يرجع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح تخلفَ الدراسات العربية إلى عدم جدية الباحثين العرب في تناولهم التراث وإعطائه القيمة التي يستحقها، إذ إنه غني بالعلوم وبالمعاجم بأنواعها وبالألفاظ على كثرتها؛ قادرة على مسايرة الزمان والمكان.
- يصف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح البحث العلمي باللغة العربية بأنه جد سيء مقارنة بما يوجد في الدول الغربية؛ بالإضافة إلى البطء الذي يمس وضع المصطلحات عندنا وإقرارها، وحِرفيته وفرديته؛ ثم إن للغة جوانب أخرى لا بد أن تستغل في البحث عن هندسة اللغة الحديثة؛ مثل: التركيب الاصطناعي للكلام والاستكشاف الآلي له، وبذلك يتم تنطيق الأجهزة وخاصة الحاسوب .
- وضع بعض المهندسين العرب منذ زمن برمجيات خاصة لإلقاء أسئلة على المدونات المحوسبة التي جمعوها كالنص القرآني وكتب الحديث، أما المشروع العربي الكبير المسمى "الذخيرة العربية" فقد تم وضع برمجية خاصة ذات قدرة كبيرة إذ تمكن الباحث من طرح أسئلة عديدة عليها، فتظهر هنا الفائدة العظيمة عند المسح الكامل للكلمة الواحدة في مختلف السياقات المعرفة في عصر معين، وهذا العلم الذي وصفه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بـ–الموضوعي مائة بالمائة– يستخرج بالاستقراء الكامل من المعطيات المستعملة من خلال الاستعانة بالحواسيب.
- إن المفاهيم العالمية المتفق على أهميتها في الميدان العلمي والتقني هي التي ينبغي أن تعرّب، ولا سبيل إلى العثور عليها إلا بالمقارنة الدقيقة بين مدلولات الألفاظ في أكثر من لغة، ثم إن اختيار اللغوي لهذا اللفظ الذي عثر عليه بالصدفة في قاموس من القواميس للدلالة على مسمى من المسميات الحديثة أيضا يعد عملا اعتباطيا لعدم اعتماده على الاستقراء الواسع والشامل لجميع معطيات اللغة، ولهذا فإن التعريب وحده غير كاف لترجمة الكم الهائل من المصطلحات المستجدة في زمننا هذا.
- يقتضي التعريب الشامل للتعليم ولأي تكوين وجود مراجع وكتب باللغة العربية، فالمتوفر قليل جدا في الوقت الحاضر بل قد تكون بعض الميادين العلمية الدقيقة والطلائعية لا توجد فيها أية مراجع، فكيف لطلبة العلم أن يقرءوا ويطوروا ويبدعوا ويطلعوا على ما استجد في مجال العلم والتكنولوجيا والمراجع لا توجد بلغتهم؟

- إن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من اللسانيين المتميزين في العصر الحديث فقد كان له فضل كبير في اكتشاف كنز التراث العلمي اللغوي العربي خصوصا ما دُرس في زماننا تحت غطاء النظريات الغربية الحديثة.
- يؤكد الأستاذ دائما علي فكرة العمل الجماعي الذي ينقصنا في عالمنا العربي فلا يطالب أن يكون الباحث عالما في علم الحاسوب واللسانيات في آن الوقت لكن عندما يتعاون عالم الحاسوب مع عالم اللسانيات فهذا هو العمل المفيد، ولهذا السبب اقترح الأستاذ على مسئولي التعليم العالي في الجزائر أن يستحدث ماجستير متعدد التخصصات في اللسانيات.
- استخلص الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن علماء العربية القدامى عباقرة سابقين لزمانهم، وأحسن مثال على هؤلاء العلماء الذين أشاد الأستاذ بعلمهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والرضي الاستراباذي وغيرهم وهذا الأخير كانت له إرهاصات في الدرس التداولي العربي.
- إن الرضي الاستربادي أبهر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وذلك من خلال شروحاته ودراساته للنحو العربي، فهو لا يخلط بينه وبين المنطق الأرسطي في كتبه ودراساته مع معرفته العميقة له، حيث إن كل مفهوم عربيّ يبقى عربيًّا عنده ولا يشوه بمعطيات المنطق اليوناني.
- يبين الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح منطق العرب في تسمية الأبواب وتنظيم وترتيب الكلام والعناصر اللغوية فسيبويه مثلا في تقسيمه للكتاب في النحو اعتمد على طريقة منطقية منظمة وأطلق على هذا التكافؤ اسم القياس ويعطي أمثلة عن هذا القياس ليسهل إحصاء الكلام ويدرج كل كلمة داخل فئة معينة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عبقرية الفكر النحوي والرياضي لهؤلاء النحويين ويدل أيضا على عمق تفكير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وتفطنه لهذه العبقرية.
- يقر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بأنه ليس من المحافظين فهو لا يحافظ على شيء إلا على الإسلام واللغة العربية والشيء الذي له قيمة، أما ما خلا ذلك فهو مجدد وهو التجديد الذي لا يظلم القدماء، كما أنه لا يدافع عن أحد إلا إذا كان

عبقريا والعبقري موجود منه في القديم وفي الحديث وهو لا يفضل وقت على وقت فالتراث فيه الغث والسمين فهناك عباقرة تراثيون فسيبويه مثلا سبق عصره بمئات السنين.

- استطاع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن يكشف من خلال ما تناوله في كتبه اللسانية وخصوصا كتاب الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" بعد اطلاعه على التراث اللغوي العربي والنظريات الغربية؛ ونذكر منها على وجه الخصوص علم التداولية "pragmatics" كشف حقيقة جوهرية وهي: أن تراثنا اللغوي العربي متنوع العلوم والنظريات التي تواكب تطور اللغة العربية وأن التداولية عند الغرب هي نفسها علم المخاطب الذي أشار إليه البلاغيون العرب القدامى؛ إذ درسوه في علم المعاني الذي يعنى بالخطاب والتخاطب ومقتضى الحال.
- إن نظرة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى ظواهر التخاطب متميزة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يرى أن الاقتران أدركه العلماء العرب منهم سيبويه، وابن جني، والجاحظ، والرضي الاستربادي وغيرهم ممن درسوا الخطاب.
- إن دلالة الحال وتقدم الذكر وعلم المخاطب تشكل شبكة من القنوات والدلالات وتقترن مع الكلام الملفوظ لتبليغ الغرض أو المعنى المراد إيصاله، إذ إن الملفوظ أو المسموع ليس وحيدا بل يقترن بقرائن وهي السياق وتقدم الذكر وعلم المخاطب تتواطأ كلها لتعطينا دلالة الخطاب.
- يقيم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج، وما يقوله المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم اللّسانية، كالنحو التّوليدي والتّحويلي ونظريّة الخطاب وغيرها.

وتجدر الإشارة في ختام هذا البحث أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كان مصدر إلهام لعديد الباحثين في مجال اللسانيات العربية، وقد اطلعت على عديد البحوث والمذكرات

حوله، فاستعنت ببعضها في إنجاز هذا البحث واكتفيت بقراءة بعضها الآخر واقترحت التوصيات الآتية:

- ضرورة الاستفادة من جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، واستكمال مشروع الذخيرة اللغوية العربية.
- ضرورة استحداث مقياس في الجامعات الجزائرية تدرس فيه الأفكار الجديدة للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بعدِّه مدرسة في الفكر اللساني خصوصا في مرحلة الماستر.
- ضرورة فتح تخصصات في مسابقات الدكتوراه تحمل اسم "الذخيرة اللغوية العربية" وهذا لكي لا تقطع الصلة بين اللغة العربية وما توصلت إليه التكنولوجيا في مجال اللسانيات الحاسوبية.
- ضرورة الأخذ بنصائح وتوصيات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح خصوصا في مجال النهوض باللغة والأمة العربية على حد السواء، وأقصد هنا استعمال التكنولوجيا، وتعلم اللغة الانجليزية للرقي باللغة العربية ومواكبتها للتطور الذي وصلت إليها نظيراتها من اللغات.

المصادر والمراجع

قائمة المراجع

***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

أولا: الكتب .

1. ابن أبي إصبيعة(أبو العباس ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح، عامر النجار، ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ج1.
2. إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
3. الأنباري(أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت577هـ)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
4. تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
5. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر ت 255 هـ) البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،، ط7، 1998،ج1.
6. الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، ط2، 1967،ج6.
7. ابن جني (أبو الفتح عثمان ت 392)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ج1.
8. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2،ج3.
9. حافظ اسماعيلي علوي وآخرون، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2009.
10. حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009.
11. حسن حنفي، التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1992.

قائمة المراجع

12. الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر ت 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2006.

13. الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن ت 170هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1.

14. ديان مكدونيل: المقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم:عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية ط1، 2001.

15. الرضي الاستربادي(محمد بن الحسن ت 668هـ)، شرح الكافية، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1966.

16. الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى ت 626هـ)، النُكت في إعجاز القرآن، "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3 .

17. الرماني، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1998.

18. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2، 1973.

19. ابن السراج (أبو بكر محمد بن السّري بن سهل ت316هـ)،الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996.

20. سرور اللحياني، اللغة الداخلية وحوسبة اللغة النحوية، اللسانيات وإعادة البناء، أعمال ندوة اللسانيات وإعادة البناء، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2014.

21. سعد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1989.

22. السكاكي(أبو يعقوب بن محمد بن علي ت 384هـ)، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2000 .

23. سمية بلفول: حوسبة اللغة العربية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح– مشروع الذخيرة العربية أنموذجا– منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018.

24. سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1288. ج1.

25. ابن سيدة (أبو الحسن علي بن اسماعيل ت 398هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 3000، ج1.

26. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ)، المزهر في علوم اللغة، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،1998، ج1.

27. شحدة فارع، جهاد حمدان وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2000.

28. الشريف الجرجاني (علي بن محمد السيد ت 816هـ)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

29. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998.

30. عبد الرحمن الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر.

31. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ج1.

32. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ج2.

33. عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، وحدة الرغاية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008.

34. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2008.

35. عبد الرحمن الحسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر1932_1985م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013.

36. عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)، مكتبة النهضة المصرية، 1940.

37. عبد الرحيم مزاري، أثر مشروع الذخيرة اللغوية لعبد الرحمن الحاج صالح في التعليم الالكتروني للغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018.

38. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.

39. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية "نماذج تركيبية ودلالية"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،، ط1، 1985.

40. عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1998 .

41. عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، ط2، عمان ، 2014 .

42. عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد ت 471هـ) دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

43. عبد الواحد الدكيكي، منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، أعمال ندوة اللسانيات وإعادة البناء، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2014.

44. الفارابي(محمد أبو نصر ت 339هـ) إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1949.

45. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

46. كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

47. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1926.

48. محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ)، طبقات فحول الشعراء، تمهيد الناشر الألماني: جوزف هل، دراسة عن المؤلف والكتاب: طه إبراهيم أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.

49. محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث" معاجم الألفاظ المعربة"، دار الفكر العربي، القاهرة،1990.

50. محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1994.

51. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 1010.

52. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

53. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط2006،1 .

54. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي،فرنسي، عربي)،مكتب تنسيق التعريب ،الدار البيضاء، المملكة المغربية.

55. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جلال الدين ت 711هـ)، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، م2، 1998.

56. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م12.

57. ابن منظور، لسان العرب، نشر دأب الحوزة، إيران، ج4، 1305هـ.

58. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 2005.

59. ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 1984.

60. ابن النديم (محمد بن إسحاق ت 384هـ)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

61. وهيبة تعشاشات، دور المعجم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، المعجم المختص أنموذجا–دراسة وصفية تحليلية–أبحاث المؤتمر الدولي الثالث العربية للناطقين بغيرها، تح: هاني إسماعيل رمضان، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، 2021.

62. A.Martinet, Eléments de linguistique générale, Paris, 1976, ترجمة عبد الرحمن صالح.

ثانيا:الدوريات والمجلات.

1. أحمد قبور، عبد الرحمن الحاج صالح وأعلام الفكر اللساني العربي قديما وحديثا:منهج تحليل وأسلوب تفضيل، مجلة المرتقى،المجلد 2، العدد1،جامعة مستغانم، الجزائر، 2019.
2. بشير إبرير، علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث –المنجز اللساني للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مثالا_، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 13، العدد 1، الجزائر، 2017

قائمة المراجع

3. عبد الجبار عبد الرحمن العبد الجبار، استخدام نظام المستشار في بناء المكانز العربية، مجلة التواصل اللساني، إعداد: محمد الحناش، م1، 1993، ط1، الدار البيضاء.
4. حسين السوداني، عبد الرحمن الحاج صالح في سياق منشأ اللسانيات في المشرق والمغرب العربيين، مجلة الدوحة، العدد 111، أفريل 2017.
5. خيرة بلجيلالي، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية، مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم، الجزائر، 2017.
6. عبد الرحمن الحاج صالح، علم اللسان الحديث، مجلة الفيصل، ع2، 1977.
7. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، مجلة التواصل اللساني، إعداد: محمد الحناش، م1، 1993، ط1، الدار البيضاء.
8. الشريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة،الجزائر،العدد السابع، جوان 2009.
9. عبد القادر بوزياني، جهود عبد الرحمن الحاج صالح في مجال اللسانيات المعاصرة، مجلة موازين، ع 2، م1، ديسمبر 2019.
10. مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع48، 1992.
11. محمد الحناش، مجلة التواصل اللساني، سلسلة ندوات، م1، ط1، الدار البيضاء، 1993.
12. محمد خان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة،الجزائر، جوان 2009.
13. محمد علي الزركان، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، مجلة التواصل اللساني، إعداد: محمد الحناش، م1، 1993، ط1، الدار البيضاء.

14. محمود فهمي حجازي، الحاسوب وصناعة المعجم العربي،مجلة التواصل اللساني، إعداد: محمد الحناش، م1، 1993، ط1، الدار البيضاء.
15. ميلود منصوري، الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن،جامعة بسكرة.

ثالثا: المذكرات والرسائل.

1. أحمد واضح، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه في اللسانيات، 1011-2012، جامعة وهران، الجزائر.
2. سليم مزهود، مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي، تخصص اللغويات، 2006/2005، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
3. معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة -الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا-، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، 2013-2014، جامعة بغداد، العراق.

رابعا: المواقع الالكترونية.

1. عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة العربية المحوسبة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 07 ماي 2009.SCricted university جمال مرسلي، 12:23/12/11،2020.
2. عبد الرحمن الحاج صالح: محاضرة ألقاها بجامعة المدية يوم 2017/02/06، موجودة على الموقع: .//youtub.com/user/MORSLIDJAMEL
http:07/11/2020 /10 :43 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة	ب- ز
المدخل: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح والتفكير اللساني	8-24
1- ترجمة لحياة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	9
2- التفكير اللساني في الحضارة العربية.....	14
الفصل الأول: منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في المزاوجة بين التأصيل والتجديد..	26-88
1-موقف الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من التراث والتجديد.....	27
1-1 موقفه من التراث.....	29
1-2 موقفه من التجديد.....	33
1-3 دفاعه عن أصالة النحو العربي.....	39
1-3-1أدلة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على أصالة النحو العربي.....	39
1-3-2 درء شبهة تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو.....	43
1-3-3 متى حصل تأثير المنطق على النحو العربي؟.....	54
2 قضايا الترجمة والمصطلح عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	64
2-1-المصطلح بين التراث والتعريب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	64
2-1-1تعريف المصطلح.....	65
2-1-2مصطلحات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	66
2-1-3مشكلات المصطلح في العالم العربي.....	70
2-1-3-1اضطراب الترجمة وفوضى المصطلح.....	70
2-1-3-2إشكالية توحيد المصطلح.....	71
2-2 هل التعريب كاف لترجمة المصطلحات العلمية المستجدة ؟.....	73
2-2-1تعريف التعريب.....	73

فهرس المحتويات

2-3 إشكاليات الترجمة وحلولها عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	81
2-3-1 إشكاليات الترجمة في العالم العربي.....	82
2-3-1-1عدم توفر المراجع والمصادر باللغة العربية.....	83
2-3-1-2كثرة المفاهيم العلمية.....	84
2-3-2الحلول المقترحة لإشكالية الترجمة في العالم العربي.....	84
2-3-2-1مشروع تكوين اختصاصيين في علم المصطلحات والترجمة المتخصصة.....	85
2-3-2-2شمولية البحث شرط لنجاعته	86
الفصل الثاني: جهود الأستاذ عبد الرحمن في حوسبة التراث العربي	132-90
1_ جهود الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات الحاسوبية.....	91
1-1 تعريف اللسانيات الحاسوبية.....	91
1-1-1منهج اللسانيات الحاسوبية.....	94
1-1-2أثر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في حوسبة اللغة العربية.....	95
1-2منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.....	97
1-3منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.....	97
1-3-1 تدبير قواعد بيانات اللغة العربية.....	104
1-3-2أهم مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة.....	105
1-3-3إعادة الاستثمار المنطقي لتحليل التراث اللغوي.....	109
2_قضايا المعجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	110
2-1 -1منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين.....	111
2-1-1تعريف المعجم.....	111
2-1-1-1 لغة.....	111
2-1-1- 2اصطلاحا.....	112
2-1-2أول معجم عربي كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.....	113
2-1-3حصر المفردات في معجم العين.....	114

فهرس المحتويات

2-2 أنواع المعاجم الحديثة عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	117
2-2-1 أنواع المعاجم الحديثة.....	118
2-2-2 مقترحات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في تطوير المعجم الحديث.....	122
2-3 مشروع الذخيرة العربية.....	125
2-3-1 تعريف الذخيرة العربية.....	125
2-3-1-1لغة.....	125
2-3-1-2اصطلاحا.....	125
2-3-2فوائد الذخيرة العربية.....	127
2-3-3وظائف الذخيرة العربية.....	128
2-3-4كيفية إنجاز الذخيرة العربية.....	128
الفصل الثالث: اللغة العربية بين علم ظواهر الاستعمال والتداولية.	178-124
1- قضايا الخطاب والتخاطب في التراث العربي.....	135
1-1 الفرق بين الخطاب والتخاطب.....	141
1-1-1 مفهوم الخطاب.....	141
1-1-1-1لغة.....	141
1-1-1-2اصطلاحا.....	142
1-1-2 الخطاب تفاعل بين متخاطبين.....	144
1-2الوضع والاستعمال في اللغة العربية.....	146
1-2-1 مفهوم الوضع اللغوي عند النحاة وعلماء الأصول.....	146
1-2-2المقابلة بين اللغة والكلام والاستعمال.....	147
1-3 العلاقة بين النحو والبلاغة.....	156
2- علاقة البراغماتيك الغربية بنظرية الخطاب العربية عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	157
2-1علم المخاطب فرع من علم البلاغة.....	160
2-2 تعريف البراغماتيك (التداولية).....	166
2-3 فهم الخطاب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.....	170
2-3-1 المعنى بين السياق وعلم المخاطب.....	170
2-3-2 أنواع القرائن.....	171
2-3-3 المعنى بين الدلالة والتداولية.....	175
خاتمة.....	192-187

فهرس المحتويات

قائمة المصادر والمراجع.....	204–194
الفهرس الموضوعات.....	209–206

الملخص

يروم هذا البحث اكتشاف مواطن التأصيل والتجديد في فكر اللساني الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، فقد أثبت في بحوثه اللسانية الكثيرة أصالة الفكر اللغوي العربي وغناه بالنظريات اللغوية والمصطلحات العلمية التي تنافس النظريات الغربية، والتي لم يتداركها أغلب الباحثين في العصر الحديث، كما أثبت الأستاذ أيضا عبقرية علمائنا العرب القدماء أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والرضي الاستربادي وغيرهم، وعليه فللأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح جهود كبيرة في خدمة اللغة العربية وترقيتها واسترجاع مكانتها العظيمة التي تستحقها.

Abstract:

This study seeks to uncover the origins and developments of the linguist Abdulrahman Al-Haj Saleh's thought processes. In his numerous linguistic studies, he has demonstrated the originality of Arabic linguistic thought and its wealth of linguistic theories and scientific words that compete with Western theories, something that most modern academics are unaware of. Professor has also demonstrated the brilliance of ancient Arab academics, such El-khalil bin Ahmed Al-Farahidi, Seboyeh, Al-Radi Al-Istabadi, and others. Therefore, Abdulrahman Al-Haj Saleh has exerted much effort to serve the Arabic language, promote it, and restore its preeminent status.